شذرات خمينية

الإصدار السادس

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ..... شذرات خمينية ـ الإصدار السادس

إعداد ونشر: ..... دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة: ..... الأولى، سنة: ١٤٣٦هـ

شذرات فمينية

الإصدار السادس

* مقدمة ـ نحن والإمام قدس سره
* جولة في موسوعة الإمام الخميني قدس سره من خلال وثائق السافاك
* عوامل ساعدت في تكوين شخصية الإمام قدس سره
* حوار حول الحكومة الإسلامية والإمام قدس سره
* آية الله صدوقي ورسالة الشاه إلى الإمام الخميني قدس سره
* حوار مع سماحة آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني

دار الولاية للثقافة والإعلام

إلى المستضعفين والمسلمين في أنحاء العالم

أوصي جميع المسلمين والمستضعفين في العالم أن لا يقعدوا على أمل أن يُتحفهم قادة بلدانهم أو المسؤولون في حكوماتهم أو القوى الأجنبية بالاستقلال والحرية، فنحن وهم قد شاهدنا أو أن التاريخ الصحيح نقل لنا ـــ على الأقل فيما يتعلق بالقرن الأخير والذي شهد سيطرة الدول الكبرى التدريجية على جميع البلدان الإسلامية وسائر الدول الضعيفة ـــ بأن أيّاً من الحكومات القائمة في هذه البلدان لم ـــ ولن ـــ تكترث بحرية شعوبها ورفاهيتها واستقلال بلدانها، بل إن الغالبية العظمى منها، إما أن تكون هي التي تمارس الظلم والكبت على شعوبها، وأن كل ما فعلته إنما هو لمصالحها الشخصية والفئوية، أو إنها تسعى لتحقيق الرفاهية للشريحة المرفهة والمترفة أساساً فيما تترك الطبقات المظلومة من سكان الأكواخ والأقبية محرومة من كل الحاجات الأساسية حتى الماء والخبز أو ما يحقق عيش الكفاف. وتبادر بدلاً عن ذلك إلى تسخير أولئك البائسين لخدمة الطبقة المرفهة الطفيلية، أو إنها تكون أدوات بأيدي القوى الكبرى تمارس دورها لتكريس تبعية الدول والشعوب للدول الكبرى، فحولوا هذه البلدان ـــ وبنصب مختلف الأحابيل ـــ إلى سوق

للشرق والغرب لتأمين مصالحهما وإبقاء الشعوب متخلفة تعيش حالة الاستهلاك، وهم اليوم يسيرون على نفس المنوال.

انهضوا أنتم يا مستضعفي العالم ويا أيتها الدول الإسلامية والمسلمون في العالم أجمع، وخذوا حقوقكم بأيديكم وأسنانكم، ولا يخيفنّكم الصخب الإعلامي للدول الكبرى وعملائها العبيد. اطردوا الحكام الجناة من بلدانكم فهم يسلمون حصيلة أتعابكم إلى أعدائكم وأعداء الإسلام العزيز.

لتبادروا أنتم ـــ وخصوصاً المخلصين الملتزمين منكم ـــ للأخذ بزمام الأمور والنهوض جميعاً تحت راية الإسلام المجيدة للوقوف بوجه أعداء الإسلام دفاعاً عن المحرومين في العالم.

وامضوا قُدماً لإقامة دولة إسلامية واحدة تنضوي تحت لوائها جمهوريات حرة ومستقلة، فإنكم بذلك ستوقفون جميع المستكبرين في العالم عند حدهم، وتحققون إمامة المستضعفين ووراثتهم للأرض، عسى الله تعالى أن يعجل من ذلك الأمر الذي وعدنا به.

من وصية الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره

الإمام الخامنئي دام ظله:

إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكل صراحة أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباريّ لا غير، وأنّ الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكل قوته، وأنّ عصر الإمام الخميني مستمر وسيبقى مستمراً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه هدفنا

وإرشاداته المنهل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل.

مقدمة

نحن والإمام

مع حلول ذكرى رحيل العبد الصالح روح الله يتحرّك المؤمنون مع رجل عَرَض ما لديه من بضاعة في سوق الشعوب، فينبري الشعراء وتتسابق الأقلام لقول كلمة مؤثّرة هنا وقصيدة شعرية هناك، يستحضرون من خلالها المواقف التي وقفها الإمام، والأحداث التي صنعها أو التي شارك في صنعها، ويتوقفون عند بعضها متسائلين: لماذا اختار هذا الرجل العملاق ذاك الموقف ولم يتخذ غيره؟ ليكتشفوا صوابّيته، بعد أن يسبروا في أغواره.

وهذا أمر مطلوب وضروري، وأقلّ نتائجه حفظ التاريخ عن التزوير والتحريف، الذي هو أحد أهداف مَنْ عادى وحارب ذاك الرجل الإلهي. إلاّ أنّ ذلك ـ بالطبع ـ لا يكفي، خاصةً بعد مرور عشرات السنين على قيام النهضة الخمينية ومن ثم انتصارها، لذا نشاهد في السنوات الأخيرة الاتجاه عند بعض المؤمنين لعرض ما هو أعمق في تحليلاتهم ورؤاهم عن النهضة، مما يجعل نتاجاتهم تمكث في الأرض، خاصةً إذا علمنا أنّ لكل جيل مستواه من الفَهْم والعوامل التي تؤثر فيه، وبالتالي علينا الاستفادة

من أفضل أسلوب وطريق للتأثير في أبناء العشرين الذين يختلفون عن أبناء الأربعين ومن قاربهم، ممن عايشوا الأحداث، واجتمعت لديهم القدرة الكافية للبحث في النظريات والتمييز بين الزَبَد وما ينفع الناس. إلاّ أنه من الملاحظ بأن محوراً هامّاً يرتبط بنا لم يتمّ التطرّق إليه، أو قلّ مَنْ تطّرق له على أهميته، وخاصةً بالنسبة للمسلمين خارج الجمهورية الإسلامية وهو نقد الذات أو محاسبة النفس. فكما أنّ هناك روايات ونصوص إسلامية تحثّ الإنسان ـ الفرد ـ على محاسبة نفسه كل يوم؛ ليكون حافزاً له للاستزادة من الخيرات ومانعاً عن التمادي في الشرور، مع أنّ أغلب المسائل التي يحاسِب الفرد نفسه عليها هي مسائل فردية، أو هكذا يتصور، إذاً كيفَ نتصور أهمية المحاسبة عندما تتعلق بالأداء السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها من الجوانب التي تؤثر وتتأثّر بها شعوب وأمم ومجتمعات.

من هنا تتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات، منها:

ما الذي تحقق من الأهداف الخمينية؟

ما دورنا فيما تحقق من أهداف إيجابية؟

ما هي مسؤوليتنا عن الأهداف التي لم تتحقق؟

هل من الممكن أن يحصل أفضل مما حصل؟ وغيرها من التساؤلات.

هدفان رئيسيان

١ـ لا يشك اثنان أنّ من أهم الأهداف الخمينية، والتي لهج بها لسان الإمام وكتب حولها ودافع عنها بلسانه وبَنانه هو إقامة النظام الإسلامي. ولا ندّعي هنا أنّ هذا النظام قد أقيم كما أراده الله تعالى مئة بالمئة، ولكننا نجزم بأنه حتى الإمام قدس سره ـ وكما هو مذكور في وصيته ـ عندما يتحدث عن حكومة ولي الله الأعظم صلى الله عليه وآله لم يكن لديه هذا التوقّع. وأهم نقطة تحققت في هذا المجال هو أنّ المتصدّين للمسؤولية أناس يهدفون إلى تطبيق النظام الإلهي والأحكام الشرعية، وهذا بدوره يحلّ أغلب المشكلات، ويقضي على الكثير من المعاصي وخاصةً ذات البُعد العام، فبكلمة واحدة من رأس الهرم يمكن قطع العلاقة مع أعتى قوة، وبقرار فقهي من المشرّعين يتمّ تجاوز محنة الربا في البنوك وغير ذلك.

٢ـ استقلال الشعوب وخروجها من تحت الهيمنة الغربية، هذا الهدف يمكن لحاظه كثيراً في خطابات وبيانات ذلك العبد الصالح، وخاصةً التي وجهها بعد انتصار الثورة، فطالما دعم المجاهدين في لبنان وفلسطين والعراق وأفغانستان، وطالما حثّ على دعمهم بالمال والسلاح.

هذان الهدفان من أهم ما أراده الإمام في نهضته، وتحمّل الكثير من العدو والصديق الجاهل في سبيل ما تحقق منهما على أرض الواقع؟

لقد أقيم النظام الإسلامي في منطقة من مناطق العالم، وقد أدّى الشعب الإيراني دوره في هذا المجال وطرد الاستعمار من أرضه، بفضل حكمة وحزم علمائه وقادته. ولكن هل هذا يكفي أم لابدّ للشعوب أيضاً أن تعرف مسؤولياتها في هذا المجال، فما حققه الإمام في إيران حجة علينا ـ نحن غير الإيرانيين ـ من أجل التحرّك، لا مبرر لنا للانكفاء والانزواء. نعم، الطريق مُرّ المذاق في بدايته، لكنه حُلوٌ في نتيجته. نعم، هناك قيادات دينية واجتماعية تسعى نحو تحقيق هذا الهدف أو لا أقل تقليل الخسائر الناجمة من عدم وجود نظام إسلامي من دون أن تعطي مبرراً لتحكّم الطغاة في مصير بلدانها، وهي جهود مشكورة نسأل الله لها التوفيق، إلا أنّ الكثير من الشعوب مازالت ترزح تحت سياط الظَلَمة. وعندما نقول سياط الظَلَمة لا يعني فقط أن يكون الشعب أو قسمٌ هامٌ منه داخل المعتقلات والسجون، بل يكفي أن تكون إرادة شعب ما حبيسة قرار من أحد الظَلَمة المتسلّطين، متمثّلاً بقول فرعونَ ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾١. هذا الوضع الشاذ المنافي للفطرة الإنسانية إلى متى سيبقى، والى أين سيصل، إذا لم تعي الشعوب ما يخطط لها، لا تصبح كالسمكة التي تجرها شباك الصياد نحو المياه الضحلة، وهي تعتقد أنها مازالت تعيش رفاهية العيش.

---

١ سورة غافر، الآية: ٢٩.

أما الهدف الثاني الذي سعى له الإمام: فالقاصي والداني يعلم بأنه لم يتحقق لحد الآن سوى في لبنان بعد إيران على يد سواعد الثلة المؤمنة هناك.

أما شرق العالم الإسلامي وغربه فمازال إما غير مهتمّ بموضوع استقلال قراره السياسي، أو أنه راضٍ بهذا الوضع، وخاصةً القيادة السياسية التي لا تريد الخروج من هذا المأزق.

لقد ملأت الولايات المتحدة برّ العالم الإسلامي وبحره بالقواعد العسكرية، وفي بعض الأراضي نزّل جيشاً مسلحاً يهاجم هذا ويقتل ذاك، ويقصف أولئك دون أي رادع أو حتى تفكير بالردع في بعض الدول، بل محاربة كل فكر يدعو إلى تغيير هذا الواقع، مع أنهم يرون بأن الهيمنة الأمريكية على قراراتهم هي أكبر جزء من المشكلة إن لم تكن كلها. قد يقال وبحسن نيّة: إنّ ما طرحه الإمام من أهداف هي أمور ضرورية وصحيحة، خاصةً وأنها مفاهيم إنسانية عامة لمصلحة الباكستاني كما هي لمصلحة الإيراني والعربي، إلاّ أنّ تحققها على أرض الواقع من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة، فما هو الحل؟

في الإجابة نقول: نحن لا ندّعي بالإمكان تحققها بين ليلة وضحاها، كما أننا لسنا من أصحاب إما كل شيء أو لا شيء، بل ما نطالبه أن نبقى على أقل تقدير وفي أحلك الظروف وأقساها نحمل نيّة الوصول إلى تلك الأهداف الإنسانية والإسلامية، لا أن

ننقلب لنسير بعكس تيار تلك الأهداف من خلال الاعتراف بل والدعم الذي نقدّمه لهذا الأمير وذلك السلطان غير الشرعيين.

إنّ إسقاط نظام طاغوتي هو أمر صعب وصعب جداً، ويحتاج إلى إرادة قوية وقيادة استثنائية، ولكن هذا لا يعني أبداً بأن من يتعسّر عليه ذلك يجب عليه السير في ركب الظَلَمة والدعاء لهم ومبايعتهم، بل يمكنه التعامل معهم معاملة الميتة. وإن إخراج القوى المهينة على مصائر شعوبنا سواء بالتواجد العسكري أو الأمني والاقتصادي والسياسي نعلم صعوبته، ولكن هذا لا يعني أيضاً أنّ من تعذّر عليه ذلك يصبح داعيةً ومنظّراً لبقائهم والترويج لفكرة ضرورة وجودهم، وهو يعلم أنّ وجودهم يعني السيطرة الكاملة على البلاد. فإن وجد للإنسان عذر هو يراه مانعاً عن مقاتلتهم، فما هو العذر في الوقوف متفرّجاً أو داعماً لوجودهم؟!

نعتقد أننا لو تعاملنا مع تلك الأهداف العظيمة وفق النظرة الصائبة، وذلك بالعمل وفق ما نستطيع عليه ولو بوجود النّية لأمكننا الاقتراب نحوها ولو طال الزمن، فكل جيل يمكن أن يقترب خطوة واحدة على الأقل وبالتالي لا مفرّ من تحقق تلك الأهداف، خاصةً وأنّ الأمور ليست كما يُتصوّر بأن العدو يتملك كل شيء، بل إنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون.

دار الولاية للثقافة والإعلام

جولة في موسوعة الإمام الخميني من خلال وثائق السافاك

محمد كاظم تقوى (١)

إنّ كتاب (سير مبارزات إمام خميني در آينه اسناد به روايت ساواك) (٢) هو كتاب قيم في إثنين وعشرين مجلداً، يتناول من خلال الشرح والتحليل الحياة السياسية والجهادية للإمام الخميني قدس سره وفقاً لما جاء في وثائق جهاز الاستخبارات المركزي الإيراني (ساواك) (٣)، كما يتحدث عن أبعاد هذه الشخصية (مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران).

يتضمن المجلد الأول من هذه المجموعة الوثائق التي تتحدث عن أوضاع الحوزة العلمية في قم، ومكانة الإمام ومميزاته، والأحداث التي جرت قبل حادثة (١٥ خرداد سنة ١٣٤٢ هـ.ش) (٤) ومواقف الإمام في تلك الفترة.

أما المجلدات من الثاني إلى الثامن، فتتضمن بحوثاً مثل: حادثة (١٥ خرداد) (٥) وانعكاساتها، الاعتقالات والنفي،

---

(١) كاتب ومحقق في الحوزة العلمية في قم.

(٢) تاريخ جهاد الإمام الخميني قدس سره على ضوء ما جاء في وثائق السافاك.

(٣) (ساواك) أو (سافاك) جهاز أمني واستخباراتي في نظام الشاه.

(٤) الموافق تقريباً: ١٩٦٣/٦/٧م.

(٥) ١٥خرداد: في سنة١٣٤٢ش.ق، ١٣٨٣هـق، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام قدس سره وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية

إستشهاد ابن الإمام، انتفاضة (١٩ دي) (١) في قم، هجرة الإمام إلى باريس، قيادته للثورة من مكان إقامته في المنفى، ومواقف الإمام وبياناته التي أدت إلى قيام الثورة الإسلامية.

في حين تهتم المجلدات من التاسع إلى الحادي والعشرين بتحليل الوثائق المتعلقة بمواضيع مثل: (الإمام، الشخصيات، المجموعات السياسية والاجتماعية، أقارب الإمام والمنسوبين إليه وعائلة الإمام)، و(الإمام والشعب)، و(الإمام ونظام الشاه) و(الإمام، الحكومات والمسائل العالمية).

وهذه المقالة تتناول بعض هذه الوثائق مع تقييم وشرح مختصر لما جاء فيها.

إنّ ظاهرة (الثورة الإسلامية) ومؤسس نظام الجمهورية الإسلامية، هي ظاهرة مهمة جداً تستحق البحث والدراسة لسنوات وأجيال عديدة، مما يساعد على بقائها وديمومتها.

وبلا شك لا نبالغ إذا ما قلنا أن قيام هذه الظاهرة المحيّرة المليئة بالخير والبركة، يعود إلى شخصية الإمام الخميني قدس سره، بل إن مقتضى الإنصاف والوقائع غير القابلة للإنكار تؤكد أن ما

عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين الذين رفعوا شعار إما الموت أو الخميني.

(١) الانتفاضة التي اندلعت إثر الإهانة التي وجهها كاتب باسم مستعار في صحيفة (اطلاعات) للإمام الخميني تحت عنوان (إيران والاستعمار الأحمر والأسود).

حصل حتى الآن من بركات وخيرات وما يحصل منها وما سيحصل، كلها من بركات آثاره الوجودية.

إذن، لمعرفة (الثورة) و(الجمهورية الإسلامية) بشكل صحيح وأدق، ينبغي علينا دراسة أبعاد وجوانب شخصية مؤسسهما وقائدهما، حتى نتمكن من تحليل حياته السياسية والجهادية ـ على ضوء الوثائق والمستندات الموجودة ـ ثم نقدم نتيجة هذه الدراسة إلى القراء والباحثين؛ لأن الباحث سيتمكن من خلال هذه الوثائق من التعرف على تفاصيل شخصية قائد الثورة الإسلامية، وبالتالي تقديم تحليل أفضل للأحداث والتغيرات التي وقعت في فترة الثورة الإسلامية.

فمثلاً، إذا ما تساءل المحقق، كيف لشخص مثل الإمام كمرجع تقليد وقائد إسلامي، أن يهاجر إلى دار الكفر ـ باريس ـ ويقيم فيها؟ أو يتساءل، كيف لقائد فقيه له نظريات وآراء وينتمي إلى مذهب فقهي واضح، أن يصرح ويؤكد على نوعية النظام (جمهورية إسلامية) لا تنقص كلمة ولا تزيد؟ وغيرها من أمثال هذه الأسئلة، فإذا ما أردنا الإجابة بشكل تحليلي وإقناعي، فإن ذلك يستلزم وقتاً طويلاً؛ لأنه يتطلب دراسة وتحليل أبعاد وجوانب شخصية الإمام الخميني ومراحل جهاده، بل دراسة جميع مراحل حياته.

لكن كتاب (سير مبارزات إمام خميني در آينه اسناد به روايت ساواك) بمجلداته الإثنين والعشرين، يقرّب المحقق الطالب للحقيقة أكثر من الوصول إلى الواقع. إذ تمّت طباعة ونشر

هذه المجموعة القيمة بهمة وجهود (مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره) في ربيع سنة (٢٠٠٧م).

الآن، وبعد تقديم الشكر إلى المؤلفين والمساهمين في تأليف وكتابة هذه المجموعة التاريخية والثقافية والسياسية القيمة، وعرضها على الباحثين والمهتمين بهذه المواضيع، نقدم تقريراً مختصراً عن محتويات هذا الكتاب.

وقبل البدء بهذا التقرير، من المناسب أن نذكّر القراء ببعض النقاط المهمة:

١ـ ضرورة تدوين وتنظيم الوثائق والمستندات.

إنّ اهتمام المرحوم السيد أحمد الخميني (نجل الإمام قدس سره) بوثائق السافاك التي تختص بجهاد الإمام، دفعه إلى أن يوجّه رسالة إلى سماحة الإمام ـ مؤسس الجمهورية الإسلامية ـ ينبهه فيها عن عدم الدقة الموجودة في انتشار هذه الوثائق، إضافة إلى عدم انسجامها، ولهذا يطلب من سماحة الإمام تعيين شخص يتولى مسؤولية تنظيم هذه الوثائق والمؤلفات الخاصة به.

جاء في رسالته:

«المسألة الأخرى... إن الملفات الخاصة بسماحتكم، والموجودة الآن لدى وزارة الأمن، ونسخة منها موجودة عندي أيضاً، رأيت من الضروري أن أطلعكم أن هذه الملفات الخاصة بسماحتكم، والتي كانت موجودة في مديرية أمن الشاه في طهران، تبلغ لوحدها ثمان وأربعين مجلداً، وكل مجلد منها يحتوي على خمسمائة صفحة، لذا فإن نشرها سيؤدي بلا شك

إلى إزاحة الستار عن الكثير من المسائل، كما أنها تعد واحدة من أَنْفَسِ الوثائق الخاصة بالثورة الإسلامية».

فأجابه الإمام:

«بما أني أعتبرك ولله الحمد صاحب رأي وفكر في المسائل السياسية والاجتماعية، وكنت ولازلت تقف إلى جانبي في جميع المواقف والأحداث، تتولى مسؤولية إدارة أموري السياسية والاجتماعية بصدق وكياسة، لذا أنتخبك لتولي مسؤولية تنظيم وتدوين جميع المسائل الخاصة بي، لمنع حدوث الاختلاف والاشتباه فيها عند عرضها في وسائل الإعلام».

ونتيجة لهذا التعيين والأمر بتولي هذه المسؤولية، تم تأسيس (مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني) بشكل رسمي، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن، قامت المؤسسة بالكثير من الوظائف المهمة، منها تنظيم هذه الوثائق. وبالطبع بقي الكثير من المهام الأخرى التي تزيد مسؤولية هذه المؤسسة أضعافاً.

٢ـ إنّ مصدر وثائق هذه المجموعة، يعود إلى الوثائق التي جمعها السافاك في ملف الإمام الخميني قدس سره تحت أرقام (٦٧٩٠٨ و ٥٧٥٦)، وذلك خلال الفترة بين سنة (١٩٥٧م) حتى انتصار الثورة الإسلامية سنة (١٩٧٩م).

٣ـ كيفية تصنيف هذه الوثائق.

إنّ كثرة الوثائق الخاصة بالإمام الخميني قدس سره في السافاك، قد أدى إلى صعوبة وصول الباحثين والمحققين إلى الوثائق المطلوبة، لذا عمد المسؤولون على هذه المجموعة، إلى تنظيمها

حسب مواضيعها ليتسنى للباحثين الوصول إلى الوثائق المطلوبة بسهولة، ثم تنظّم هذه الوثائق حسب تاريخ التقرير، وتاريخ الحدث، وتاريخ وصوله، مع رعاية تنظيمها وتصنيفها حسب المواضيع المطلوبة.

٤ـ خلاصة الوثائق.

لأجل تسهيل مهمة الباحثين والمحققين في الوصول إلى الوثائق المطلوبة، عمد المسؤولون عن هذه المجموعة، إلى إعداد نبذة وخلاصة عن الوثائق الخاصة بكل موضوع في بداية كل فصل تحت عنوان (خلاصة الوثائق) أو تحت عنوان (المدخل).

بعد التنبيه على النقاط السابقة، نقدم تقريراً عن مواضيع ومحاور كل مجلد، ثم ننقل بعض الوثائق أو نشير إلى بعض النقاط المهمة فيها بعد مطالعتها والتدقيق فيها.

عناوين المجلد الأول:

١ـ الفترة التي تسبق مرسوم تأسيس إتحاد الولايات والمحافظات (١).

٢ـ إتحاد الولايات والمحافظات.

---

(١) البنود التي اعترض عليها العلماء في المرسوم عبارة عن:
١ـ إلغاء شرط الإسلام عن المرشح والناخب.
٢ـ أن يكون قسم النائب بأي كتاب سماوي ولا يشترط أن يكون بالقرآن.
٣ـ السماح للمرأة بالمشاركة ترشيحاً وتصويتاً، وهي بنود تخالف الدستور الإيراني.

٣ـ الاستفتاء الصوري للشاه (السادس من بهمن ١٣٤١ـ١٩٦٢م).

٤ـ نوروز عام (١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م) وفاجعة المدرسة الفيضية.

٥ـ عاشوراء عام (١٣٨٣هـ.ق) وانعكاساتها.

إن الوثيقة الأولى في المجلد الأول بتاريخ (٢٢/١٢/١٣٣٥هـ.ش ١٩٥٦م)، تتضمن تقريراً عن وضع الحوزة العلمية في قم، وتصرح بأن الرئاسة العليا للحوزة بيد آية الله البروجردي قدس سره.

إن هذا التقرير يتحدث أيضاً عن الوضع الدراسي والمعاشي للطلاب، الذي يقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف طالب؛ كما يذكر المراجع والمدرسين، ومسؤولي الدرجة الثانية في الحوزة العلمية في قم، ويشرح أوضاعهم الدراسية.

النقطة المهمة في هذا التقرير أنه يقدر عدد الطلاب عند سائر المراجع العظام (غير السيد البروجردي) بما لا يزيد عن ثلاثمائة طالب، في حين يذكر أن عدد طلاب الإمام الخميني حدود الخمسمائة طالب، ويذكر بجانبها ملاحظة (وهذا مهم بالنسبة للدرس).

النقطة المهمة الأخرى أيضاً هي: أنّ هذه الوثيقة تذكر الإمام الخميني كأحد المدرسين الثلاثة الذين (يهتمون بالجانب الاجتماعي أيضاً)، والأهم أنها تذكر عبارة: (إنّ أغلب العلماء

والمدرسين يعارضون الشيوعية لكنهم أيضاً لا يؤيدون نظام الحكم في البلاد).

وجاءت في الصفحة (٥٨) من هذا المجلد، رسالة بتاريخ (٢٠/١١/١٣٤٠هـ.ش ـ١٩٦١م) كتبها آية الله السبحاني إلى أستاذه الإمام الخميني؛ وذلك أثناء فترة تبليغه في شهر رمضان في مدينة كرمان، يذكر فيها استفتاءاً عن المعادن على سطح الأرض، الموجودة بكثرة في كرمان، ثم يتطرق إلى مسألة النفط، ويتساءل أنه لماذا لا يعطى المسلمون خمسه، ثم يطلب من الإمام أن يجد الفرصة في شهر رمضان لمطالعة رسالة لا ضرر ـ بقلم التلميذ ـ لتصحيحها وتدوين بعض الملاحظات عليها.

الوثيقة الأخرى في هذا المجلد هي (الإمام الخميني وخطر إسرائيل) التي وقعت فيما بعد بيد السافاك، وترتبط بعلاقة نظام الشاه مع إسرائيل:

المرحوم آية الله الشيخ حسين اللنكراني، في تاريخ (٢٦/١/١٣٤٨هـ.ش ١٩٦٩م) وفي جلسة أقيمت في منزل محمد حسن الطاهري الأصفهاني، بحضور السيد محمد رضا سعيدي (١) والشيخ حسين الكاشاني، تحدث حول موضوع علاقته السابقة بالإمام الخميني، فقال: كان (الإمام) الخميني

(١) الشهيد آية الله سعيدي (١٣٠٨ـ ١٣٤٩هـ.ش) من أنصار الإمام السابقين تعرض للاعتقال عدة مرات واستشهد في الجن بعد ٩ أيام من اعتقاله.

متواجداً في كرج فترة من الزمن، وكنت خلالها أراجعه كل يوم، وعندما أرادت إيران الاعتراف رسميّاً بإسرائيل، غضب المرحوم المرجع الحاج حسين البروجردي كما غضب عامة الشعب أيضاً.

كان (الإمام) الخميني في كرج آنذاك، فصار القرار أن أذهب إلى طهران للبدأ بالثورة، وأن يرسل الإمام الخميني شخصاً إلى السيد

البروجردي لطلب المساعدة منه، ولهذا أرسل ـ (الإمام) الخميني ـ المجتهدي التبريزي إلى قم لإطلاع السيد البروجردي، وعندما عاد المجتهدي أبلغه أن السيد البروجردي كان غاضباً جداً من الاعتراف باليهود، وهو أشد غلياناً منا، لكن في عصر نفس ذلك اليوم التقى به أحد الأشخاص من طهران، فتغيّر بعدها موقف السيد البروجردي، وقال لن أتدخل في هذا الأمر. فتأثر (الإمام) الخميني جداً ومَرضَ على أثرها لعدة أيام، حتى أن الأطباء قالوا إنه تعرض لصدمة شديدة!

رسالتان من الإمام إلى الشاه:

على رغم علم الإمام الخميني قدس سره وتأكده من شخصيّة الشاه المنحطة وتبعيته هو وأركان حكومته، فإنه سعى إلى تنفيذ طموحاته السياسية ـ الاجتماعية وفق خطة مدروسة ومنظمة على ضوء عملية معقولة ومنطقية، إذ كان في البداية، ينصح أعضاء الحكومة ويدعوهم إلى الإصلاح، وينبههم على ضرورة إصلاح سلوكهم الخاطئ لأنه من صلاح البلاد والشعب. وعندما رأى عدم

فائدة مساعيه الإصلاحية، بدأ بإعداد الشعب للنهضة والثورة والسعي لإسقاط الحكومة البهلوية الفاسدة، وقد تمكن الإمام باستقامته وشجاعته وبصيرته الواسعة، أن ينفذ جميع مطالبه الضرورية على أحسن وجه وفي كافة المراحل.

عندما رد الشاه بشكل مهين على رسالة الإمام الأولى، وادعى كذباً أنه (كان يسعى دائماً لحفظ الشعائر الدينية أكثر من أي أحد آخر) كما أرسل برقية الإمام إلى الحكومة وذيلّها بعبارة «أرجو لكم التوفيق في نشر القوانين الإسلامية وهداية العوام».

أرسل الإمام رسالته الثانية بعيداً عن الإنفعال، ودون أن يتراجع ذرة واحدة عن موقفه، فكتب إليه بشهامة وشجاعة عجيبة: «بالطبع إن وظيفة رجل الدين هي الإرشاد وهداية الشعب، لكن مع الأسف وعلى رغم أنه قد نبهت السيد أسد الله علم* على هذه البدعة التي يريد إيجادها في الإسلام، وأطلعته على مفاسدها، فإنه لم يذعن لأمر الله القهار، ولم يلتزم بالدستور ولا قانون المجلس، ولم يطع الأمر الملكي، ولم يهتم بنصيحة علماء الإسلام..».

وفي نهاية هذه الرسالة، قام الإمام بتهديد الشاه بصراحة، قائلاً:

«إنّ شعبنا المسلم يتوقع أن تأمروا بشدة السيد علم وتجبروه على إطاعة قانون الإسلام والدستور، وأن يستغفر الله من الجسارة

---

* رئيس الوزراء.

التي ارتكبها بحق القرآن الكريم، وإلاّ سأضطر إلى كتابة رسالة طويلة أذكركم فيها بمواضيع أخرى».

النقطة المهمة والدقيقة، نجدها في القسم الأخير من الرسالة والدعاء الذي كتبه في نهايتها وكأن الإمام يرى ما سيحدث بعد الخمسة عشر عاماً:

«أسأل الله تعالى الاستقلال لجميع البلاد الإسلامية وحفظها من الفوضى والثورة».

أما محورية الإمام منذ بداية النهضة، فقد جاءت في (ج١، ص ٩٨): في صباح هذا اليوم أرسل الشيخ الفلسفي (١) برقية إلى آية الله

الخميني في قم يسأل فيها: عقدنا منذ عدة ليال اجتماعاً في مسجد الحاج عزيز الله، فهل نستمر في عقد هذا الاجتماع أم لا (٢)؟

إنّ معلومات الإمام الواسعة ولغته المعاصرة، قد منحته بصيرة واسعة ورأياً نافذاً في مجال العلوم العقلية والنقلية، وبالإضافة إلى ذلك إطلاعه وإشرافه على زوايا وخفايا الأمور السياسية والاجتماعية سواء الداخلية منها أو الدولية. والشاهد على هذا الكلام هذه المقاطع من رده على سؤال التجار وأصحاب الحرف

---

(١) الخطيب المشهور سماحة الشيخ محمد تقي فلسفي ﷺ.
(٢) المقصود بها الاجتماعات التي عقدت احتجاجاً على الحكومة.

من أهالي مدينة قم المقدسة حول تصريحات السيد عَلَم في موضوع التصويت على مرسوم إتحاد الولايات والمحافظات.

فكتب سماحته:

«... إنّ تفسيره لهذا المرسوم، فاقد لأي اعتبار قانوني.. وإني لأتعجب كيف يتحمل السادة الوزراء هذه المسؤولية القانونية الكبيرة، ولا يقدموا على إعادة النظر فيه، ولا يريدون الوقوف بشموخ أمام الشعوب المتحضرة وأمام شعبهم، والخضوع أمام الدين والقانون.

إنّ إعادة النظر في هذا المرسوم والإذعان لرأي الدين والقانون، هو دليل على الشهامة والتحضر، ويوافق القوانين الدولية، أما الالتفاف على القانون ومخالفة إرادة الشعب فهي عادات القرون الوسطى وبعيدة عن الأدب والأخلاق، ومن الأفضل لوزراء دولة عريقة أن لا يوصفوا بمثل هذه الأوصاف، وأن لا يقوموا بفعل يكون دليلاً على تخلف شعبهم وعدم تطوره، وذلك من خلال قيامهم بعمل يخالف الدين والقوانين.

إنّ المنع الشديد للصحف من نشر أخبار هذه النهضة الوطنية والقانونية الكبيرة يعد أمراً نادراً قل حدوثه، بحيث ينهض شعب بكامله للدفاع عن دينه ودستوره، ويتفق على هذا العمل في جميع مدن البلاد.

وهو عمل مشين لحكومة تدعي التحضر، بحيث أصبحنا نشعر بالخجل والإهانة بين وكالات الأنباء والسفارات الأجنبية، ونحن نبرئ الشعب الإيراني من مثل هذه الأعمال، أعمال القرون

الوسطى، ونلقي جميع الذنب على عدد معدود من الأفراد المغرورين أو الواقعين تحت التهديد. إذ أن الشرفاء يحترمون دينهم ودستورهم، ويتجنبون القيام بأعمال تجلب المخاطر للشعب ولاستقلال البلاد».

في البند الخامس من هذا الجواب حول رأي علم، نقرأ:

«كتبوا أن هذا الموضوع عرفي! فإذا كان القصد أنه لا يرتبط بحكم الشرع فهو أمر عجيب جداً، لأن جميع المواضيع العرفية لها حكم في الشرع، وهؤلاء السادة جاهلون بقوانين الإسلام وبالحقوق الإسلامية. فعليكم أن تسألوا علماء الإسلام عن حكم هذا الموضوع العرفي..».

ويصرح الإمام في البند السادس:

«يجب أن نقول لرئيس الوزراء، لا يمكن لأي مجلس أو أي مسؤول (أي حتى الشاه) أن يقر قانوناً يخالف الإسلام والمذهب الجعفري، فارجعوا إلى الأصل الثاني الملحق بالدستور. والحمد لله إنّ الشعب المسلم وعلماء الإسلام مازالوا يقظين وواعين وعلى استعداد لقطع كل يد خائنة تمتد للنيل من الإسلام وأعراض المسلمين».

إنّ هذه الرسالة تمتلئ بالمنطق القوي الذي يحمله الإمام وبمعلوماته ولغته المعاصرة، ومن الواضح أن قيمة وأهمية هذه اللغة تتضح إذا ما عدنا خمسين سنة إلى الماضي، وقارنا هذه الرؤية وهذا الأسلوب مع الأساليب الأخرى، ومع مستوى وعمق تفكير العظماء الآخرين وبقية أفراد وطبقات المجتمع.

الإمام، قائد النهضة

في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/٢/٧ هـ.ش ١٩٦٣م) ، نقرأ:

إنّ مواقف آية الله الخميني المعارضة في الأشهر الأخيرة، وتصديه لمعارضة الإصلاحات التي قام بها (حضرة الأعلى همايوني) (١) والحكومة قد أدى إلى تمركز الشخصيات البارزة من رجال الدين حوله، وبسبب هذه المركزية أصبحت الحوزات العلمية، الدينية خارج إيران تعتبره أبرز الشخصيات الدينية في إيران، وأوضح دليل على هذا البروز هو برقية التعزية التي أرسلها له آية الله الحكيم بعد الأحداث الأخيرة..

كان هذا بروزاً محيراً لشخصية الإمام الخميني خاصة بعد المساعي الشيطانية لحكومة بهلوي في عزل وإهمال الحوزة العلمية في قم وعظمائها، خاصة الإمام الخميني؛ (من كان لله كان الله له).

أما التفاوت بين شخصية الإمام والآخرين، فقد جاء في (ج١، ص ٢٩١)، أن أحد الأعاظم أصدر بياناً حول حادثة المدرسة الفيضية (٢) ، ومن جملة ما جاء فيه:

---

(١) لقب من ألقاب الشاه.

(٢) الهجوم الوحشي من قبل الشاه على طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية عندما كانوا يحضرون مجلس وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

«... إنّ الفاجعة المؤلمة التي حدثت في المدرسة الفيضية في قم، هي نتيجة للاعتداءات الوحشية التي قام بها عدد من رجال الأمن ضد طلاب العلوم الدينية و...».

من الواضح أن هذه النظرة للقضايا والمسائل تقلل من أهمية المسألة وتنسب هذه الفاجعة العظيمة والخيانة التاريخية إلى (عدد من رجال الأمن)، وبالتالي تبرئ الآمرين والسلاطين المجرمين!. وفي مقابل هذه المجموعة كان الإمام الخميني قدس سره بشجاعته النادرة وبصيرته الإلهية، يتهم النظام وقادته بهذا الجرم ويقول: «إنّ المشكلة الكبيرة تكمن في أننا عندما نراجع أي مسؤول، يقول: إنّ هذه كانت بأمر (حضرة الأعلى) ولم تكن بيدنا حيلة، كلهم من رئيس الوزراء إلى قائد الشرطة وقائم مقام قم، يقولون إن هذه بأمر من حضرة الأعلى».

يقولون: «إن الجرائم التي حدثت في المدرسة الفيضية كانت بأمره.. فإن كان هذا صحيحاً، فعلينا أن نقرأ الفاتحة على الإسلام وإيران والقوانين، وإن لم يكن صحيحاً وأنهم كانوا ينسبون هذه الجرائم ومخالفة القوانين والأعمال غير الإنسانية إلى الشاه كذباً، إذن لماذا لا يدافع عن نفسه، حتى يتخذ الشعب موقفه من الحكومة، ويحاسبها في الوقت المناسب بجزاء أعمالها؟! لقد نبهت مراراً أن هذه الحكومة تحمل نيّة سيئة وتخالف أحكام الإسلام.. وأنا لا أعلم، هل جميع هذه الجرائم والجنايات تحدث لأجل نفط قم، وعلى الحوزة العلمية أن تدفع الثمن؟ أم لأجل

إسرائيل ويعتبروننا معارضين لعقد اتفاقية التعاون مع إسرائيل ضد الدول الإسلامية...».

عناوين المجلد الثاني والثالث:

١ـ إعتقال الإمام، ونهضة (١٥ خرداد ١٣٤٢هـ.ش).

٢ـ الإمام في السجن.

٣ـ مؤامرة نفي الإمام.

٤ـ فترة الإقامة الجبرية.

٥ـ إطلاق سراح الإمام وانعكاساته.

بعد انتفاضة (١٥ خرداد) والجرائم والاعتداءات الوحشية التي ارتكبها نظام الشاه ضد أفراد الشعب، وموقف الإمام الشديد من هذه الأحداث الذي انتهى إلى اعتقاله وسجنه، وقد أدّى ذلك إلى موجة غضب شعبية وعلمائية واسعة جداً، بحيث ذكرت الوثائق بعض ردود الأفعال هذه، ومنها:

أصدر المرحوم آية الله المرعشي النجفي (١) بياناً شديد اللهجة، ذكر فيه:

«نحن نصرخ اليوم (هل من ناصر ينصرنا) وسنبقى إلى آخر لحظة على الصراط القويم، إن دمائنا ليست أفضل من دم أخينا

(١) أحد المراجع الكبار في قم توفي ١٤١٠هـ

العزيز سماحة آية الله العظمى السيد الخميني، ولن نتراجع عن مواقفنا ما لم يعيدوه إلينا صحيحاً سالماً. وسنبقى ندافع عن حريم الإسلام والقرآن حتى آخر لحظة من دمائنا» (ج٢، ص ٣٤).

ولكن مع الأسف أوصى السيد شريعتمداري أحد مريديه في تبريز أثناء مكالمة هاتفية معه، بالتالي:

«أدعو الناس إلى الهدوء، وأن يتجنبوا بشدة المظاهرات؛ لأن المظاهرات لن تؤدي إلى أي ثمرة... فلا يمكن للأرواح أن تقف بوجه الرصاص... واسعوا إلى عدم إهانة (حضرة الأعلى) أو التقليل من شأنه.

أرجو أن لا تعارضوا (الشاهنشاه) أو تثيروا غضبه، لقد قلت للخميني أن لا يتصرف مع الشاه بهذا الشكل، ولا يتحدث بما يخالف الحكومة والسياسة، لكن لم يصغ لكلامي حتى وقع فيما هو فيه! إضافة لذلك هيّئوا عريضة لتأييدي!» (ج٢ ص ٤٤).

وفي (ج ٢ ص ٢١٢)، جاء في وثيقة نقلاً عن الفريق خلعتبري مسؤول التحقيق مع الإمام في السجن:

«لم أر أبداً رجلاً بهذه القوة والقدرة، فهذا الشخص يصرح عَلَناً استعداده للموت، ويلتزم الصمت أثناء استجوابه».

إنّ سكوت الإمام الخميني قدس سره والتزامه الصمت أثناء استجوابه وعدم الإجابة على أسئلتهم، كان أمراً مهماً ومثيراً بحيث

نجد حوله تقريراً مفصلاً في الصفحة (٢٣٢) من نفس المجلد، يتحدث عن ظروف الإمام في السجن:

لقد تم استجواب الشخص المذكور، لكنه امتنع في كلا الاستجوابين عن الإجابة على الأسئلة المطروحة عليه، وحيث قال في الاستجواب الأول أنه يعتقد بعدم وجود استقلال للقضاء في إيران وأن القضاة المحترمين يتعرضون للضغط، لذا فإني لن أجيب على أسئلتكم.

وفي الاستجواب الثاني، كرر الشخص المذكور أقواله، مضيفاً: لقد استنبطت أنكم ستدينونني، لذا ما الفائدة من إجابتي على أسئلتكم، إضافة على ذلك إذا ما أقمتم محكمة لا يحضر فيها قضاة من وزارة العدل، فإني لن أحضر فيها، كما أني سأمتنع هنا عن الإجابة على أسئلتكم.

من الواضح أن سماع وقول مثل هذا الكلام أصبح كلاماً عادياً وعديم الضرر، لكن قوله بعزة وشجاعة مطلقة من قبل شخص واقع في قبضة حكومة ظالمة، يدل على الإيمان القوي والتقوى الشديدة التي كان يتمتع بها الإمام؛

وجاء في الصفحة (٢٤٢) من الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/٥/٧هـ.ش ـ١٩٦٣م): «إنّ (الإمام) الخميني إضافة إلى كونه لا يخشى النفي والسجن، قد أخبر اللواء باكروان واللواء عزيزي أنه غير مستعد أبداً للتعاون مع الحكومة إلاّ إذا ما أطلعوا

الشعب على هذه الحادثة عن طريق الإذاعة أو الصحف، أي يسمحوا للشخص المذكور الاستفادة من الإذاعة والصحف، وهذا ما لا تسمح به الحكومة، لذا تقرر نفي الخميني والقمي إلى كرمان والمحلاتي إلى تبريز».

أما في تاريخ (١٣٤٢/٥/٦هـ.ش ـ ١٩٦٣م) فقد أصدر جهاز السافاك (المركز) أمراً إلى السافاك في قم، ومنه إلى السافاك في سنندج: بعد أن حددت اللجنة، مدينة سنندج مكاناً للنفي، لذا أصدروا أوامركم بتعيين منزل للشخص المذكور من الآن، مع اتخاذ كافة التدابير الأمنية اللازمة. (ج٢ ص ٢٦٠). وفي تاريخ (١٣٤٢/٧/١٥هـ.ش ـ ١٩٦٣م) أعلن عن عدم تنفيذ هذه التدابير والتمهيدات بأمر من اللواء باكروان.

إن علم الإمام والسيد مصطفى (١) بمراقبة هاتف المنزل أثناء فترة إقامة الإمام الجبرية، أدى إلى أن يضطر جهاز الأمن في نظام الشاه لمراقبة الأفراد الذين يتصلون بالإمام، لكن الإمام كان أذكى من أن يترك أعمالهم الشيطانية تمر بلا جواب.

وذكر السافاك في تقريره المؤرخ بتاريخ (١٣٤٢/٦/٢هـ.ش):

إنّ ما نستنبطه من طبيعة المكالمات الهاتفية، أن السيد الخميني والسيد مصطفى يعلمان بموضوع مراقبة مكالماتهما

---

(١) نجل الإمام الخميني الأكبر.

الهاتفية، لأن كلامهما مختصر جداً، وتتم جميع اللقاءات خارج المنزل بواسطة السيد مصطفى. (ج٣٠، ص ٣٤٩).

وأما الاهتمام بالوحدة الإسلامية، فهو الموضوع الذي تشير إليه الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٢٥/٦/١٣٤٣هـ.ش ـ١٩٦٤م) ، حيث تبين اهتمام الإمام الخميني قدس سره بوحدة الشيعة والسنة: «لقد كان آية الله الخميني يصدر باستمرار أوامره إلى رجال الدين بأن يتجنبوا إهانة مقدسات أهل السنة، حتى يزيد ذلك من التقارب بين رجال الدين السنة والشيعة» (ج٣ ص ٤٤٢).

عناوين المجلد الرابع:

١ـ إحياء معاهدة الحصانة القانونية (١) وانعكاساتها.

٢ـ نفي الإمام إلى تركيا.

٣ـ إنعكاس حدث نفي الإمام الخميني في داخل البلاد.

٤ـ إنعكاس حدث نفي الإمام الخميني قدس سره في خارج البلاد.

إستناداً إلى الوثيقة رقم (٥٢٢) المؤرخة بتاريخ (٤/٨/١٣٤٢هـ.ش) تم تقدير عدد الحضور في منزل الإمام أثناء

---

(١) كابيتولاسيون: معاهدة تمنح الأمريكيين الحصانة القانونية في إيران، أي أنه لا يمكن لأي محكمة إيرانية أن تحاكم الأمريكي مهما كانت الجريمة التي ارتكبها.
وهذه المعاهدة معمول بها في أغلب البلدان التي يتواجد على أراضيها عسكريون أمريكيون.

خطابه التاريخي حول موضوع الحصانة القانونية، بحدود(٦ آلاف) شخص، لكن في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١١/٨/١٣٤٣هـ.ش ـ ١٩٦٤م) تم تقديره نقلاً عن أحد المعممين بأكثر من (١٠ آلاف) شخص.

لقد استخدم الإمام في جهاده الدرجات العالية من الحكمة والدراية والتدبير، وكان يتحرك في كل مرحلة بمقتضى العقل والتدبير، بحيث أنه بدأ مراحل جهاده من لقاءه مع الشاه وطرح النظريات ومطالب رجال الدين الواعين والشعب الملتزم بتعاليم دينه، والتحرك بذكاء في جهاده خطوة بعد أخرى حتى وصل تدريجياً إلى مواجهة الحكومة ورئيس الوزراء عملاء الشاه.

وفي المرحلة التالية وجه خطابه مباشرةً إلى الشاه نفسه، وهاجمه على أعماله المخالفة للدين ومواقفه المخالفة للمصالح والمنافع الوطنية، ثم انتقل إلى مهاجمة السبب الأساس لجميع هذه المظالم والمفاسد ـ دولة الولايات المتحدة الأمريكية ـ واعتبرها أنها هي السبب في جميع هذه المصائب والويلات في نهاية الأمر، وبالطبع أدى هذا الهجوم الشديد إلى عواقب ومصاعب كبيرة.

إذ عندما تم تصويب معاهدة (الحصانة القانونية) المذلة والمهينة لعزة وكرامة البلاد، تعدى الإمام في مهاجمته الشاه، فهاجم وبكل شجاعة أمريكا ورئيس جمهوريتها، مما دفعهم

لاتخاذ أشد القرارات ضده، حيث قام الشاه بتنفيذ أوامر أسياده واعتقال الإمام ليلاً ونفيه بسرعة إلى تركيا، ظناً منه أنه تمكن من إبعاد الإمام عن شعبه.

ولم يمض أكثر من يومين من نفي الإمام إلى تركيا أي في تاريخ (٦ نوفمبر ١٩٦٤م) حتى كتب (استوارت راكول) الوزير المنسق في سفارة أمريكا رسالة إلى جيمز ـ من المحتمل أنه أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية ـ يقول فيها: «وأخيراً تمكنا من التخلص من السلوك السيئ لهذا الرجل المسّن الذي كان يضع بكلامه العصا بين عجلاتنا». فقد أصدر هذا الأحمق المحلي (إشارة إلى الشاه) أمراً بإخراجه (ج٦، ص ١٤).

عناوين المجلد الخامس:

١ـ نفي الإمام إلى تركيا (الإمام في تركيا).

٢ـ نفي الإمام إلى العراق (إنعكاساته في الداخل؛ إنعكاساته في الخارج).

أفضلي ـ رجل الأمن المرافق للإمام في تركيا ـ يكتب إلى السافاك تقريراً بتاريخ (١٦/٨/١٣٤٣هـ.ش):

«برنامجه اليومي يقتصر غالباً على الإستراحة وتلاوة القرآن وإقامة الصلاة وتناول الغذاء وأحياناً كتابة بعض الكلمات التركية، لكن لا ينبغي تركه وحيداً» (ج٥، ص ١٠).

وقد سعى نظام الشاه بعد نفيه الإمام إلى قطع ارتباطه مع البلاد ومع الشعب الإيراني المؤمن بحيث كان يمنع بشدة إيصال

رسائل تلامذته وأنصاره إليه. فقد جاء في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١/١٠/١٣٤٣هـ.ش):

«بعد طرد الخميني من البلاد، من الأصلح قطع ارتباطه كلياً مع مؤيديه، حتى ييأس الشخص المذكور من العودة إلى إيران ومتابعة نهجه السابق، ويضطروا للإنضمام إلى رجال الدين الآخرين في إيران للقيام بمسؤولياتهم الدينية».

ومن الرسائل الرائعة والمثيرة للإهتمام، الرسالة التي كتبها الشهيد سعيدي، وما أبدى فيها من إرادة خالصة للإمام، وهذه الرسالة موجودة في (المجلد الخامس ص ١٧٢ ـ ١٧٣) المؤرخة بتاريخ (٣٠ خرداد ١٣٤٤ـ ١٩٦٥م) حيث جاء في قسم منها: «مولاي، كأن علو همتكم منعتكم من الإكتفاء بالمقدار الذي تمثل به بقية نواب ولي الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف بإمامهم، وأردت أن تكون نموذجاً كاملاً له.

فقد انتفضتم بحق وغبتم غيبتين، لكني أتمنى أن تعملوا في الأمر الأخير عكس ما فعله ذلك الإمام العظيم، وتجعلوا غيبتكم الأولى* الغيبة الكبرى ولا تدموا قلوب شيعتكم أكثر من هذا.

أقسم بالله الذي أظهر قدرته وخلق الخميني العزيز، أني مستعد لأن أقايض لحظة لقائك بقيمة حياتي، لكني أعلم أنه ثمن بخس..).

---

* المقصود بها فترة الاعتقال التي دامت.

شكوى من العلماء:

إستناداً إلى الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٧/٧هـ.ش ـ١٩٦٥م) (المجلد الخامس، ص ١٩٩)، يتحدث الإمام مع أحد المسافرين إلى إيران، ويشتكي من وضع إيران ورجال الدين، خاصة السيد شريعتمداري، ويوصي: «على العلماء أن يقوموا بواجبهم مهما بلغت العواقب».

عدو أصبح سببا للخير..

على رغم ظن عملاء نظام السافاك البهلوي أن نفي الإمام إلى النجف الأشرف، لم يؤد إلى نسيانه؛ بل أدى إلى تثبيت مكانته المرجعية والعلمية والسياسية أفضل من السابق بحيث أنه إضافة إلى مساعيه العلمية والتدريسية في حوزة النجف القديمة الذائعة الصيت، وجذبه لاهتمام فضلاء هذه الحوزة، فإنه تمكن أيضاً من تأليف كتابه القيم (كتاب البيع) في خمس مجلدات، وتتلمذ على يده العديد من الفضلاء والمجتهدين.

وإضافة إلى هذه المساعي العلمية، ورغم الضغوط العلنية والخفية التي كان يمارسها عملاء النظام، فقد ازداد ارتباط الإمام بالشعب الإيراني يوماً بعد آخر إلى درجة أن أحد أبناء آية الله الحكيم يذكر في رسالة إلى آية الله السيد محمود ضيابري ـ أحد رجال الدين المعروفين في مدينة رشت وأحد مريدي الإمام ـ حسب الوثيقة ـ المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٨/٢٠هـ.ش ـ١٩٦٥م):

«إذا كنتم تسألون عن أحوال آية الله الخميني فهو بخير وسلامة ورفاه، وقد وصل إلى آية الله الخميني مبلغ (٢٠٠) ألف

تومان تقريباً من طهران وسائر مناطق إيران الأخرى.. فلا تشغلوا بالكم بأحواله، فإن الله سيحفظه»، (ج٥، ص ٢٣٢).

كذلك الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/١٠/٨هـ.ش ـ١٩٦٥م) تذكر بعض النقاط المهمة حول المكانة الإجتماعية للإمام نقلاً عن أحد أبناء آية الله الشاه آبادي أستاذ الإمام في العرفان: «بذهاب آية الله الخميني إلى العراق، وجد الإيرانيون المقيمون في هذا البلد ملاذاً وسنداً كبيراً لهم... وكانت الحقوق التي تصل إلى آية الله الخميني من طهران أكثر من المبلغ الذي يصل إلى بقية العلماء، وكلما زادت السلطات الحاكمة من ضغوطها على آية الله الخميني ورفقائه كلما زاد ذلك من مقدار نفوذه واعتباره بين أفراد الشعب.. فأصبح على رغم ميله الباطني، يدير القسم الأكبر من الأمور المالية في حوزة قم العلمية أيضاً» (ج٥، ص ٣ ـ ٢٣٢).

وفي الصفحات (٧ ـ ٤٣٥) من نفس المجلد نجد رسالة من حجة الإسلام والمسلمين السيد سجاد ميانجي بتاريخ (١٠ رجب سنة ١٣٨٥ هـ.ق)، كتبت باللغة العربية وتحمل في كلماتها مشاعر جياشة وإرادة مخلصة للإمام وكذلك السيد مصطفى، جاء فيها: «... يا مولاي إن الله ابتلاك كما ابتلى جميع الأنبياء والمرسلين ثم جعلهم خلفاء في أرضه كما اختارك بعد أن امتحنك نائباً عن وليه وحجته صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف...».

عناوين المجلد السادس:

١ـ استشهاد السيد مصطفى رحمه الله وانعكاساته.

٢ـ مقالة مهينة.

٣ـ إنتفاضة (١٩ دي) في قم.

٤ـ مراسم الأربعين المتتالية والمظاهرات الثورية.

٥ـ هجرة الإمام من العراق إلى فرنسا.

٦ـ الإمام في المهجر حتى عودته إلى إيران.

ابتلاءات الإمام:

الإمام الخميني قدس سره الذي لُقبّ بصفة (مُحطِّم الأصنام) ورغم كونه قد تولى قيادة الأمة الإسلامية، وهداية العباد المظلومين إلى الله، وأصبح في الواقع حجة بالغة إلهية للإنسان في زمانه ـ قد تعرض إلى ابتلاءات كثيرة قبل الوصول إلى مقام إمامة الأمة، تمثلت هذه الابتلاءات بالسجن والإقامة الجبرية والنفي، فكانت له بمثابة منازل السلوك عند العرفاء، طواها واحدة بعد الأخرى، كالسالك العاشق للقاء الحق. ومن هذه الابتلاءات تقديم السيد مصطفى فداء للحق، فكان هذا الفداء في أرض الغربة وأثناء النفي، شبيهاً (بذبح إسماعيل) خليل الحق.

فقد قدم أمل الإسلام في المستقبل إلى الله بتسليم بل ورضا كامل، معتبراً ذلك من ألطاف الله الخفية، وكأنه سمع بقلبه من يقول له: أن إحياء الإسلام ونجاة عباد الله من قيود الطواغيت يحتاج تقديم ابنكم مصطفى فداء له، لذلك لم تصدر ذرة من الشكوى والألم من قبله بعد الحادث. وبعد أن مرت عليه هذه المصيبة وانتهت وخرج من هذا المنزل بشموخ وعزة، نزلت

البركات الإلهية عليه وعلى شعبه المضحي والمؤمن من كل جانب بحيث تمكن هذا الشعب العظيم في ظل ظروف من اليأس والخوف من القيام بمعجزة كبرى وتحقيق النصر في ثورته الإسلامية، رغم حالة الغرور التي كانت يعيشها نظام الشاه لما يملكه من رجال مدججين بالسلاح قاموا بأقسى الأعمال الوحشية بحق الشعب وإراقة دمائهم، حتى أطمأن هو وأسياده ببقاء جزيرتهم الآمنة، لكن قدرة مقلب القلوب منحت الشعب الإيراني إيماناً وعزيمة مكنته من القيام بالثورة الإسلامية، واستقبال روح الله بعد سنوات النفي. ولأهمية هذه الحادثة في مسيرة نهضة الإمام والثورة الإسلامية، نشير إلى بعض الوثائق المذكورة حولها: الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٤ /٨/١٣٣٦ـ ١٩٥٧م) تذكر نقلاً عن قول الحاج أبي الفضل فيض أحد أفراد حاشية السيد شريعمتداري: «لقد قلقت كثيراً من كثرة مجالس الفاتحة التي أقامها رجال الدين والآيات وكذلك التجار على روح السيد مصطفى، فقلت: إذا كان مؤيدو الخميني والمقربون له قد أقاموا مثل هذه الدعاية والتبليغ له، فلا أدري ماذا سيفعل سائر المراجع في المستقبل..»؟

إنّ كل ما قمنا به حتى الآن (يقصد المؤيدين لشريعتمداري) كان يسير منذ البداية طبق برنامج صحيح، لكنه انهار الآن وفشل تماماً، إذ تأثر طلاب العلوم الدينية المؤيدون لشريعتمداري وأصابهم الملل وأصبحوا يبحثون عن حجة للتبليغ إلى شخص آخر..) (ج٦، ص ٥٤).

وفي الصفحة ٨٤ من نفس المجلد نقرأ ما قاله صدر الدين الحائري أثناء حديثة مع أحد أصدقائه:

«تحدث آية الله الخميني هاتفياً مع السيد عبد الحسين دستغيب (١) شاكراً إياه على إقامة مجالس الفاتحة، كما قال له، لقد ربيت ولدي بشكل يمكنه أن يشغل مكاني بعدي، وكان لائقاً تماماً لهذا الأمر، لكنهم قتلوه».

النقطة المهمة والدقيقة في هذه الوثيقة، هي ما نقل عن الإمام أنه قال (قتلوه) وهو دليل على استشهاد ذلك الفقيد السعيد.

أما وصية الإمام باتحاد الحوزة والجامعة، فقد جاءت في عدد من الوثائق كالوثيقة الموجودة في الصفحة (١١٤)، والتي تتضمن الخطاب المعروف في (١٠ آبان سنة ١٣٥٦هـ.ش ـ١٩٧٧م) الذي ألقاه الإمام في أول درس له بعد استشهاد السيد مصطفى، حيث تحدث في هذا الخطاب حول مسألة (الفصل بين الشباب المتدين المثقف ورجال الدين) وكان له انعكاس واسع في البلاد.

إن مكر العدو والنصر الإلهي طيلة فترة الجهاد وإيمان الإمام الخميني قدس سره وثباته كانت من العوامل التي أدت إلى ظهور الإمداد الغيبي وتحقيق الانتصارات الإلهية.

---

(١) شهيد المحراب آية الله السيد دستغيب كان له الدور الأبرز في أحداث الثورة في مدينة شيراز اغتاله المنافقون وهو ذاهب لإقامة الجمعة.

بعد حادثة استشهاد نجل الإمام (السيد مصطفى) سعى نظام الشاه إلى إيجاد بعض الإنفتاح السياسي، لكنه لاحظ ازدياد ارتباط الشعب بالإمام وازدياد حبهم له.

لهذا أقدم هذا النظام على عمل قذر وقبيح للتقليل من شأن الإمام ومكانته في قلوب الناس، فأمر بنشر مقالة مهينة عن الإمام في صحيفة (إطلاعات)، لكن ومن باب ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١).

فقد فشلت هذه الأعمال غير الإنسانية بسبب إيمان واستقامة الشعب الإيراني؛ بل وأدت إلى إيقاد شعلة الثورة الإسلامية في إيران.

اختصت الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٥٦/١٠/٢٠) بتعطيل الحوزة والأسواق في يوم الأحد (١٨ دي) ومظاهرات الطلاب اعتراضاً على تلك المقالة المهينة، وتشير إلى دور السيد صادق الروحاني والشيخ محمد اليزدي. وتتحدث وثيقة أخرى في التاريخ نفسه عن تجمع بعض الطلاب في بيت آية الله العظمى الشيخ هاشم الآملي وبيت العلاّمة الطباطبائي اعتراضاً على المقالة، وقد جاء فيها:

«السادة أيضاً أدانوا نشر هذه المقالة، وبعد هذا التجمع والخطاب الشديد اللهجة للشيخ محمد اليزدي، ذهب الطلاب إلى مدرسة أميرالمؤمنين، وخطب فيهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ونقل لهم قول أحد المراجع: أنهم بهذا العمل لم يهينوا السيد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

الخميني لأن الجميع يعرفه، بل أهانوا المراجع الآخرين، لأنهم يعتبرونهم من أتباعهم، ثم ذهب الطلاب إلى منزل الشيخ وحيد الخراساني؛ الذي شبه الخميني في كلامه بالنور، الذي لا يمكن أن ينطفئ بمجرد وضع الشخص قدمه عليه...» (ج٦، ص ١٥٧).

ولم تؤثر هذه المقالة المهينة برجال الدين والمتدينين من أفراد الشعب؛ بل أدت إلى غضب أغلب أفراد الشعب، حتى أن بعض العسكريين المحسوبين على أتباع النظام البهلوي، أبدوا امتعاضهم واعتراضهم الشديد على هذه المقالة.

في الصفحة (١٨٣) المجلد السادس، نقرأ قسماً من رسالة العقيد المتقاعد عزيز الله رحيمي إلى مدير صحيفة إطلاعات، يقول فيها:

«... إن سماحة آية الله العظمى الخميني ليس مرجع تقليد للشيعة في العالم فحسب؛ بل هو شخصية إسلامية عظيمة، لن ينسى التاريخ أبداً مواقفه وتضحياته في سبيل تحرير وطنه.

إني على يقين أن يد الشعب الإيراني سترد بقوة على مدير هذه الأوراق الممزقة الحقيرة، ولن تنسى أبدا خيانة مدير هذه الصحيفة».

ذلة التبعية للأجانب:

تبين الوثيقة التالية شدة تبعية الحكومات غير الشعبية للأجانب أثناء أحداث الهجرة التاريخية والمصيرية للإمام

الخميني إلى فرنسا، وبعد أن قرر الإمام في البداية السفر إلى دولة الكويت.

«... إن سفير الشاهنشاه (١) (آريا مهر) (٢) في الكويت هو الذي أبلغ سفير دولة الكويت في البلاط الملكي والذي كان موجوداً في الكويت في تلك الفترة، بقصد الخميني، السفر إلى دولتهم، فقام سفير الكويت بإبلاغ ابنة أمير الكويت بالخبر، وبعد فترة قصيرة أبلغ سفير الشاهنشاه آريا مهر، أن أمير الكويت أظهر عدم علمه بوصول الخميني، فأمر المسؤولين بمنع الخميني من الدخول إلى الكويت» (ج٦، ص ٤٣٤).

سرية المقصد التالي للإمام:

بعد ممانعة حكومة الكويت من دخول الإمام إلى أراضيها، اختار الإمام باريس لتكون مقصده التالي، وقد أدى هذا القرار إلى اضطراب وتخبط جميع رجال الأمن والإستخبارات في النظام البهلوي، لأنهم كانوا يحتملون ذهاب الإمام إلى أي نقطة في العالم إلاّ باريس، وكان أكثر حدسهم هو هجرة الإمام إلى سوريا، ولم يشر إلى ذلك سوى تقرير السافاك في آبادان:

«... إنّ الخميني يفكر في السفر إلى إحدى الدول الأوروبية والإقامة فيها» (ج٦، ص ٤١٣).

---

(١) ملك الملوك.

(٢) من ألقاب الشاه وهو نسبة إلى قوم آريا.

وأثناء إقامة الإمام في باريس، كان هناك اتصال بين السافاك وجهاز الاستخبارات الفرنسي. كما تشير إلى ذلك الوثائق، حيث تشير الوثيقة رقم (٧٦٥٥/ ٣١٢ـــ ١٥/٧/١٣٥٧) إلى المطالب الإستخباراتية

للسافاك من ممثلية السافاك وفرعها في فرنسا، وقد تم نقل الجواب عن طريق أحد الموظفين الفرنسيين في دائرة ضد التجسس، حيث تذكر الوثيقة (٢٩/ ٧/ ٥٥ تقريراً يشير إلى أن أحد المسؤولين الأمنيين الفرنسيين إسمه (كنت) كان موجوداً في إيران في تلك الفترة، وذكر أن إحدى احتياجات السافاك، هي جمع المعلومات عن المحيطين بالإمام.

وطبقاً للوثيقة المؤرخة بتاريخ (٢٧/ ٧/ ١٩٧٨م)، تم إرسال معلومات جديدة من قبل جهاز الاستخبارات الفرنسي إلى جهاز السافاك. (ج٦، ص ٤٩٥).

اللقاءات الصحفية القوية والمتحضرة:

أول لقاء صحفي للإمام كان مع صحيفة الفيغارو الفرنسية، نشرت بتاريخ (١٨ أكتوبر ١٩٧٨)، وكانت هي البداية للقائه مع الصحف ووكالات الأنباء الأخرى.

وقد صرح الإمام في ذلك اللقاء أن الإسلام يدعو إلى التطور والرقّي، وأعلن فيه عن معارضته للنظام الملكي، وأطلق على النظام البديل له إسم (الجمهورية الإسلامية).

وبالطبع، كانت تلك نقطة عطف في جهاد الإمام، حيث أن الهدف الذي أعلن عنه في النجف تحت عنوان (الحكومة

الإسلامية)، قد أنجز خطوة متقدمة منه، وخطط لعمليات تنفيذه في باريس بالشكل الذي يمكن تحقيقه في هذا العصر والزمان فأطلق عليه اسم (الجمهورية الإسلامية).

ولابد من القول: أن النقطة المهمة في معرفة وتحليل شخصية الإمام الخميني قدس سره، هو وفاؤه الكامل لروح وحقيقة التراث (الديني)، فهو من جهة كان كاملاً في معرفة مقتضيات الزمان وعميقاً في معرفة مكنونات الإنسان، وبالتالي كان صوتاً معبراً عن ضمير شعبه المسلم، ومن جهة أخرى كان القائد الذي عمّق ارتباط شعبه بتعاليم الإسلام المحمدي الأصيل، ومن جهة ثالثة قام بتحريره من براثن النظام السلطوي القديم وغير المنطقي، ونقلهم إلى نظام جديد يمثل أحدث ما وصلت إليه البشرية في أنظمة إدارة المجتمعات البشرية ـ الأنظمة الديمقراطية والأنظمة الجمهوريةـ، وهذا يعني أنجح ارتباط بين التراث والتجدد، الذي حصل ويحصل فيهما دائماً الإفراط والتفريط.

فالإمام الذي ولد يوماً ما في إيران إحدى دول العالم الثالث، وبنى مراحل شخصيته في المراكز العلمية ـ الحوزوية، وقضى ثمانين سنة من عمره وهو مرجع تقليد وقائد ديني في إيران والعراق، قد تمكن من الإنتقال إلى فرنسا وأوروبا، والنفوذ في قلب العالم المتحرر المدعي للتحضر والتطور، ثم الإعلان في هذه الأشهر القليلة عن المراحل الأخيرة من جهاده الطويل لتثبيت حاكمية الإسلام في بلاده، وبالتالي جذب العالم نحو شخصيته وأهدافه ونحو الظروف التي يعيشها شعبه وبلده، فكان ذلك يمثل

المفتاح الذي نفهم منه السر الذي يبين سبب الإختلاف والتفاوت بين الإمام والآخرين، وهو ما يمكن الوصول إليه من خلال التحليل المنصف والدقيق.

المجلدان السابع والثامن:

اختص المجلد السابع من هذه المجموعة بموضوع (قيادة النهضة من المنفى)، وانعكاس (الآراء، والمواقف والبيانات الخاصة بالثورة).

في سنة (١٣٤٨هـ.ش ـ١٩٦٩م) طرح الإمام الخميني قدس سره أثناء وجوده في النجف الأشرف (نظريته البديلة) كأحد العوامل الأساسية للثورة الإسلامية ـ مطلقاً عليها عنوان (الحكومة الإسلامية) ومؤكداً على الأبعاد السياسية والاجتماعية للإسلام، فكانت تلك صدمة كبيرة للنظام الظالم وأتباعه، كما رسم للمجاهدين الأفق الصحيح لحركتهم ونضالهم. لذلك نلاحظ في المجلة الخاصة بالسافاك بتاريخ (١٣٤٨/١٢/٧هـ.ش) ملاحظات حول هذا الخطاب التاريخي للإمام، والإقتراح بكتابة مقالات متتالية لردّ أقوال الإمام الخميني (ج٧، ص٢٠).

أما المجلد الثامن في هذه المجموعة فكان استمراراً لمواضيع المجلد السابع ومرتبطاً بمواضيع المجلد السادس، وتناول موضوع قيادة النهضة من المنفى، حيث نقل بعض الوثائق الخاصة بالنظريات والمواقف والبيانات الداعية للثورة.

الوثيقة الموجودة في الصفحة (٥٠٣) المجلد الثامن، تشير إلى بعد من أبعاد قيادة الإمام الخميني.

فقد كان الإمام قاطعاً جداً في أدائه إلى درجة أن بعض الجاهلين بأبعاد الشخصية الكاملة لهذا الرجل الإلهي الكامل كانوا يعبرون عن هذه الصفة بالتطرف والشدة في حين أن الإمام ورغم إصراره الشديد على إسقاط نظام الشاه الملكي والقضاء على محمد رضا الخائن، وعدم يتراجعه ذرة واحدة عن هذا الموقف ـ الذي ثبتت صحته تدريجياً للجميع ـ كان يتعامل في مراحل ومقاطع ومواضيع أخرى بهدوء وبشكل مسالم، وما يقتضيه التدبير والحكمة.

فالإمام وطيلة جهاده الطويل، لم يلجأ أبداً إلى الجهاد والنضال المسلح (١) رغم وحشية الإجراءات العدائية لنظام الشاه، ولم يلجأ إلى ذلك حتى في أقسى مراحل حالة الطوارئ، وأشد مراحل الثورة، التي مارس فيها النظام الديكتاتوري أقسى الإجراءات وأراق فيها الكثير من الدماء، ولم يصدر عنه سوى (التهديد بالجهاد) كمحاولة لردع النظام عن أعماله الوحشية.

كما أن الإمام سعى إلى إظهار الصورة الإنسانية الراقية للشعب الإيراني والثورة الإسلامية، رغم هجومه الشديد والدقيق على الطواغيت والظلمة كالحكومة الأمريكية وغيرها، حيث سعى

---

(١) رغم أن بيانات وخطابات الإمام قبل الانتصار تكاد تخلو من الدعوة للعمل المسلح ضد النظام إلا أن سيرة بعض المجاهدين حكت عن رضا الإمام بتلك الأعمال بصورة غير علنية ولذا نجد في تاريخ الثورة من قام باغتيال بعض العناصر القذرة في النظام، يلاحظ هذا الأمر أيضاً في كتاب كشف الأسرار.

إلى تعزيز روابطه مع الشعوب الأخرى في العالم، ولهذا الغرض وجه في تاريخ (٢٣ديسمبر١٩٧٨)، بياناً إلى الشعب المسيحي يتضمن أدق وأجمل العناوين والألقاب، لتعزيز العلاقات مع الشعوب المسيحية، جاء فيه:

«... أيها الشعب المسيحي أدعوكم باسم الشعب الإيراني المظلوم أن تطلبوا في أيامكم المباركة من الله تعالى أن ينقذ الشعب الإيراني من براثن هذا السلطان الظالم، ويعجل له الفرج والخلاص، وإني أطلب منكم أيها الشعب العظيم أن تحذروا رؤساء بعض الدول المسيحية الذين يستفيدون من قدراتهم الشيطانية لحماية الشاه الظالم، ويعملون على سحق هذا الشعب المظلوم، وأطلب أن تشرحوا لهم تعاليم المسيح عليه السلام.

كما أطلب من رجال الدين المسيحيين أن ينصحوا رؤساء بعض الدول العظمى، ويدينوا أعمالهم الوحشية المخالفة لتعاليم الأديان السماوية. إنّ القرآن الكريم يعظم السيد المسيح ويمجده، وينزه السيدة مريم، لذا ينبغي على الشعب المسيحي أن يرد هذا الدين إلى الشعب المسلم».

وبنظرته الحكيمة والجامعة، أدرك الإمام شدّة تبعية الجيش لشخص الشاه، واعتماد هذا النظام الديكتاتوري على هذا الجيش واحتمال أن يقوم بانقلاب على الثورة، لذلك ومن خلال فهم الإمام العميق للتركيبة الإسلامية للجيش، وجه الإمام خطابه التالي إلى الشعب:

«... إنّ هذا الشعب الشجاع ورغم علمه بوجود عدد قليل من الأذلاء والمجرمين في هذا الجيش الذين اغتروا بتولي المناصب المهمة، وتمت معرفة أسمائهم لي، لكنه يعلم أيضاً بوجود العديد من التيارات الشريفة في الجيش الذين لن يسمحوا لهؤلاء الأذلاء والتابعين بالقيام بمثل هذه الجريمة (الإنقلاب العسكري) المخالفة لوطنيتهم ومذهبهم.

وإني وبما يمليه عليّ واجبي الإلهي والوطني، أحذّر الجيش الإيراني وأطلب من أصحاب المناصب والرتب الحيلولة دون حدوث هذه المؤامرة إن كانت موجودة، وعدم السماح لعدد من المجرمين بإراقة دماء الشعب الإيراني الشريف. إنّ هذا هو واجبكم الإلهي أيها الجيش المحترم، وستتحملون المسؤولية أمام الله تبارك وتعالى إذا ما أطعتم أمر هؤلاء الخونة بالفطرة، وستدين عملكم المجتمعات البشرية وتلعنكم الأجيال الآتية» (ج٨، ص ٥٢٨).

المجلدات من التاسع حتى الحادي عشر:

المجلد التاسع في هذه المجموعة، يتضمن الوثائق المتعلقة بمواضيع (الإمام، الشخصيات، المجموعات السياسية والإجتماعية، أقارب الإمام والمنتسبين إليه وعائلة الإمام، والوثائق المتعلقة بالإمام ورجال الدين).

كما اختص المجلد العاشر أيضاً بهذا العنوان العام، لتسليط الضوء على الوثائق المتعلقة بموضوع (الإمام ورجال الدين).

مواقف مختلفة:

في تاريخ (١٥ /١١/١٣٥٠هـ.ش ـ١٩٧١م)، أصدر السافاك كراساً لا يحمل رقماً، ذكر أن تعطيل الحوزات العلمية لدروسها في الأيام (٢١و٢٢) من شهر دي عام (١٣٥٠هـ.ش)، وما رافقها من غضب في قم اعتراضاً على الإهانة التي وجهها عضوان من أعضاء مجلس الشيوخ إلى الإمام، كان بسبب التوجيهات التي أصدرها آية الله الگلبايگاني، وأضاف أن السيد شريعتمداري قد أوصى الطلاب بعدم التدخل في هذه الإعتراضات (ج٩، ص٣٧).

جهاد بأسلوب فكاهي:

تذكر الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٢/١١/١٣٤٧هـ.ش ـ ١٩٦٨م)، أن أحد الخطباء في أصفهان باسم صمصام، وكان يتمتع بالشجاعة وروح الفكاهة، قد قال من على المنبر:

«لقد ذهبت عدة مرات إلى منزل آية الله الخميني في قم، وقلت له سيدنا لا تكثر من وطأ ذيل هذا الكلب، لأن عاقبة سحق ذيل الكلب أنه سينبح بصوت عال، وقد أدى ذلك إلى نفيه إلى العراق» (ج٩، ص ٤٠).

واللافت أن هذا المرحوم قد أبدى شجاعة كبيرة، عند اعتقاله من قبل عملاء السافاك.

شجاعة الوسطاء:

إنّ دروس الإمام في موضوع الحكومة الإسلامية الذي طرحه في النجف سنة (١٣٤٨ هـ.ش ـ١٩٦٩م)، كانت توزع في الداخل

والخارج عن طريق الكراسات والكاسيتات مما أدى إلى اضطراب عملاء وأركان النظام.

وطبقاً للوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣/١٢/١٣٤٩هـ.ش ـ١٩٧٠م)، أن السيد محمد أبو ترابي قد تعرض في منطقة خسروي الحدودية إلى التفتيش أثناء عودته من العراق، لكنهم لم يجدوا كراس دروس الإمام، إذ قام بإرسالها مع شخص آخر إلى مكتبة مصطفوي في طهران». (ج٩، ص ٤١).

مكانة مرجعية الإمام:

تذكر الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٢/٦/ ١٣٤٩) أسماء رجال الدين في طهران مع ذكر أسماء مراجع تقليدهم.

ويشمل هذا الفهرس أسماء (٥٩) شخصاً من علماء الطراز الأول وأئمة المساجد في طهران، تشير الوثيقة إلى أن (٣٢) شخصاً منهم يقلدون الإمام، و(١٩) شخصاً يقلدون السيد الخوئي، و(١٢) شخصاً يقلدون السيد الميلاني، و(٥) أشخاص يقلدون السيد الشاهرودي، وإثنين منهم يقلدان السيد الگلبايگاني، وإثنين منهم يقلدان السيد شريعتمداري، وواحد يقلد السيد الروحاني. (ج٩، ص ٥٢).

الدفاع عن الشباب:

تشير الوثيقة المؤرخة بتـاريخ (٢٣/١٠/١٣٥٥هـ.ش ١٩٧٥م) إلى موقف آية الله الخونساري (١) مقابل طلب عَلَم وزير البلاط بإصدار حكم تكفير الشباب ذوي الميول السياسية، وهـو موقـف رائع وقابل للتقدير، إذ رد على طلب عَلَم، قائلاً:

«إذا كان ذلـك ضـروريا لكـان الأولـى أن أصـدر حكمـاً، بتكفيركم لما سببتموه من أذى للشعب. فـلا يوجـد شـيء فـي بلادنا، إذ لا يجد الناس الخبز ولا اللحم ولا احتياجاتهم الأخرى، لأنكم لا تعطونهم سوى الكـلام، حتـى أصـبح الجميـع غاضـباً عليكم، ولن تجد شخصاً واحداً راضياً عنكم» (ج٩، ص ٥٤).

جهود أنصار الإمام وازدياد نفوذ الإمام:

تدل القرائن والشواهد العديدة أن أنصار الإمام بذلوا جهـوداً كبيرة حتى أصبح مقدار الحقـوق الـشرعية التـي تـصل الإمـام وكذلك المبالغ الشهرية التي يدفعها لطلاب العلوم الدينية، أكثـر من المراجع الآخرين، فقد جـاء فـي الوثيقـة المؤرخـة بتـاريخ (١٧/٧/ ١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م):

(١) آية الله السيد أحمد الخوانساري صاحب كتاب (جامع المدارك) كان مقيماً بطهران (ت١٤٠٥).

«إنّ آية الله الخميني كان يرسل أموالاً حتى إلى الخطباء ورجال الدين الذين يسكنون القرى النائية حتى يتمكنوا من إدارة حياتهم ومعيشتهم» (ج٩، ص ٦١).

وبرغم الموانع الكثيرة التي كان يضعها السافاك ومراقبته الشديدة لأنصار الإمام ومؤيديه، فقد كانت هذه الشبكة الواسعة والمهمة من أنصار الإمام في الداخل والخارج، تستلم الحقوق الشرعية من المؤمنين وتوزعها على الحوزات العلمية، أو توصلها إلى الإمام ليصرفها في إدارة الحوزات العلمية. ويبين الكراس المكتوب بخط الإمام أنه أصدر إجازات شرعية لـ (٥٣١) شخصاً في الفترة ما بين شهر (آبان) (١) سنة (١٣٤٤هـ.ش) إلى شهر (اردبيهشت) (٢) سنة (١٣٥٧هـ.ش).

فشل مؤامرات الأعداء:

سعى جهاز السافاك بشدة إلى معرفة طبيعة الإختلافات بين العلماء والمراجع، والعمل على تأجيجها. فقد كان السافاك يعمل بشكل عام على تأجيج الإختلافات بين العلماء، وخاصة الاختلافات بين العلماء وفكر الإمام، حيث يوجد في هذا الموضوع الكثير من الكلام والآلام والمعاناة التي تعرض لها أنصار الإمام ومؤيدوه، لكن الإمام تجاوز هذه الآلام كما صرح

(١) الشهر الثامن في السنة الشمسية.
(٢) الشهر الثاني في السنة الشمسية.

في بيانه إلى رجال الدين، وعفا عنهـا، أمـا موقـف الإمـام فـي مواجهة مؤامرة الأعداء، فكان يؤكد على الدفاع عن كيان الحوزة ومراجعها، رغم اختلافه مع آراء المراجـع الآخـرين، كمـا كـان يوصي تلامذته ومؤيديه دائماً بتجنب إهانة المراجـع الآخـرين، وأن يرفضوا غيبة المراجع في بيوتهم وعدم السماح لأي شخص بذلك. لكن ونظراً لمواقف بعض المحسوبين على بيوت العلمـاء وتدخلهم السلبي في مواقف الإمـام الجهاديـة، وحتـى إقـامتهم لعلاقات خاصة مع المسؤولين الأمنيين في نظام الشاه، فقد دفـع ذلك أنصار الإمام إلى القيام ببعض ردود الأفعال المـستقلة عـن مواقف الإمام ورأيه.

المجلد الحادي عشر:

تضمن الوثائق الخاصة بموضوع «الإمام والقوى المؤثرة فـي النهضة والجهاد (العوامل الإيجابية والسلبية)».

كان أنصار الإمام يسعون بشدة ومن خلال مواقفهم الإيجابية إلى توظيف جميع قدرات الحوزة وطاقاتها فـي خدمـة مواقـف الإمام الإسلامية والتحررية؛ لكن الأطراف والقوى السلبية كانـت تعارض هذه المواقف. الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٥/١/٩هـ.ش ـ ١٩٦٦م)، تبين أن عدداً من أساتذة الحوزة من بيـنهم الـسادة: النوري، والمنتظري، والأنصاري والخزعلـي قـد اقترحـوا علـى شريعتمداري في أواخر سنة (١٣٤٤هـ.ش) تعطيل الحوزة لغـرض عودة الإمام، لكنه رفض ذلك، وقـال لا يمكـن تعطيـل الحـوزة بسبب كلام إثنين أو ثلاثة أطفال! (ج١١، ص١٧).

المجلد الثاني عشر والثالث عشر:

اختص المجلد الثاني عشر بالوثائق التي ترتبط بمواضيع: (الإمام والجامعيون، الإمام والسياسيون، الأحزاب والحركات السياسية).

كان للجامعيين وأساتذة الجامعات دورٌ كبيرٌ ومؤثرٌ خلال فترة النضال وأحداث الثورة الإسلامية؛ بحيث كان الطلاب الجامعيون في الإتحاد الإسلامي على ارتباط بالإمام منذ سنة (١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م)، والتقوا بالإمام في قم في يوم (١٣٤٢/٢/١٩)، واستمرت هذه اللقاءات بينهم حتى فترة إقامة الإمام في باريس، وثائق السافاك تشير إلى الحضور الغفير لطلاب الجامعات والجامعيين في محل إقامة الإمام في باريس حيث تولوا إدارة أمور عديدة منها:

الإجابة على المكالمات الهاتفية الكثيرة التي كانت تصل من إيران، وتدوين الملاحظات عليها، وإرشاد الصحفيين الأجانب، ومراجعة وترجمة مقالات الإمام ولقاءاته الصحفية ولقاءاته مع الإذاعة والتلفزيون في الدول المختلفة.. وغيرها من النشاطات (ج١٢، ص ٦١).

علاقة الإمام مع الشعب:

اختص المجلد الثالث عشر بالوثائق الخاصة بموضوع (الإمام والشعب)، وإذا ادعينا أن ثورة الإمام الخميني كانت أكثر الثورات في التاريخ شعبية فلن يكون ذلك جزافاً؛ لأن الشعب الإيراني قد

آمن بكل وجوده أن الإمام الخميني صادق في قوله ويليق بتحقيق آمالهم وأمنياتهم وقائد كفوء لحركاتهم السياسية والجهادية.

أول ارتباط بين الشعب والإمام سجلته وثائق السافاك، كان هو لقاء الإمام مع الكسبة والتجار في قم، ثم في طهران، وكان يتعلق بأحداث (إتحاد المقاطعات والولايات). وكان عامة الناس ومؤيدوا الإمام هم الذين تولوا طباعة ونشر الرسالة العملية للإمام، وكذلك استنساخ الأشرطة الصوتية لخطبه في النجف، واستنساخ بياناته وإعلاناته، كما أن نصب صور الإمام كان يشير إلى علاقة الشعب القوية بالإمام وقائد النهضة الإسلامية، واستعدادهم لتحمل عواقب هذا العمل. ونقرأ في الوثائق الكثيرة التي تركها السافاك:

«تشير التقارير الواصلة من المدن المختلفة مثل: بهشهر، نهاوند، رفنسنجان، يزد، كرمان، تبريز، وطهران، إلى توزيع صور الإمام بين الناس».

كما تدل التقارير الأخرى على هذا الموضوع:

«تم منع توزيع وبيع صور الإمام في مناطق لرستان وگيلان». (ج١٣، ص ٢٠).

ولم تكن العلاقة بين الإمام والشعب من طرف واحد، بل كانت علاقة ومحبة من طرفين، إذ كان يقوم بجميع جهاده ونضاله لتحرير هذا الشعب وتحقيق الرفاه له، وبالطبع كانت تعتبر جميع أعماله جزءاً من الواجبات الشرعية وأداء التكليف الإلهي.

تشير الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٧/٨هـ ش)، أن الإمام طلب من أحد أقاربه إرسال مبلغ عشرة آلاف ريال شهرياً

كمساعدة للشيخ باقر محي الدين الأنـواري (أحـد المحكـومين بقضية اغتيال منصور) (١).

كما أكد على مساعدة عوائل الشهداء الأربعة في هذه العملية وهم (الشهداء بخارائي، نيكنجاد، صفار هرندي، وإمامي)، حيـث كانت تصلهم المساعدات بشكل مستمر. (ج١٣، ص ١٢٥).

المجلد الرابع عشر والخامس عشر:

اختص المجلد الرابع عشر ببحث الوثـائق الخاصـة بعلاقـة (الإمام والشعب).

أما المجلد الخامس عشر، فيبحث العناوين التالية:

١ـ الإمام والشعب.

٢ـ العائلة، (بيت الإمام والمنتسبين إليه).

كانت أول التقـارير الخاصـة بعائلـة الإمـام، تتحـدث عـن التعريف بأشقاء الإمام (السادة بسنديدة ونور الدين الهندي) فـي خمين، وتحركاتهم وزياراتهم ومواقفهم، خاصة ما يتعلـق بـدور ونفوذ آية الله بسنديدة في مدينة خمين، وسفره المتكرر إلى قـم أوائل النهضة مـع أهـالي خمـين أو بمفـرده، (ج١٥، ص ٣٤٩)، بتاريخ (١٣٤٤/٦/٦هـ.ش).

والظاهر أن إقالة ابن السيد بسنديدة من عمله في (بنك ملي) كان بسبب تدخله في أمور خمين. (ص ٣٥٠).

---

(١) حسن علي منصور رئيس الوزراء وهو من أوعز إلى المجلس بالتصويت لصالح الحصانة القانونية للأمريكيين وعوائلهم، قام المجاهد بخارائي باغتياله بالرصاص وهو يترجل من سيارته.

كما اهتم السافاك لفترة طويلة بمتابعة المرحوم السيد أحمد الخميني ومراقبته أثناء فترة مراقبة بيت الإمام في قم، كما ينقل التقرير المؤرخ بتاريخ (٢١ بهمن ١٣٤٨هـ.ش) زيارة السيدة زوجة الإمام إلى إيران في شهر مرداد سنة (١٣٥١ هـ.ش) للقاء أبنائها وأقاربها ورؤية حفيدها الجديد ابن السيد أحمد، ويشير إلى إصدار الأوامر التي وجهت إلى السافاك لمراقبة أعمالها وسلوكها. (ص ٣٥٥)، وتكررت هذه المراقبة أيضاً في سفرها إلى إيران في شهر (تير) (١) سنة (١٣٥٣هـ.ش ـ١٩٧٤م). أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٥٧/٣/٢٢هـ.ش)، فإن ممثل السافاك في العراق ينقل فيها تصريحات خاصة حول السيد أحمد الخميني: (قبل فترة قال أحد المسؤولين الأمنيين الإيرانيين متأسفاً، لقد أدركنا متأخرين النشاطات الكثيرة للسيد أحمد الخميني في قم، وللأسف تمكن أن ينجو بنفسه منا). (ص ٣٦٠).

المجلدات السادس عشر إلى التاسع عشر:

هذه المجموعة (المجلدات الأربعة) اختصت بالوثائق المتعلقة بموضوع (الإمام ونظام الشاه).

حيث يتضمن المجلد السادس عشر الوثائق المتعلقة بموضوع (العراقيل والمؤامرات التي تحاك ضد الإمام). حيث جاء في أول وثيقة من هذا المجلد والمؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/١/١٦هـ.ش): «في ليلة ١/٣/تم توزيع منشور في قم ضد آية الله الخميني، وذكر أن غداً سيكون موعداً للتعريف بآية الله

(١) الشهر الرابع من السنة الشمسية.

شريعتمداري، لذلك سافر الموظف عند آية الله شريعتمداري فجر يوم ١/٤ إلى طهران ليقف على رأي المسؤولين المعنيين عن عدم طلب نشر مثل هذا الإعلان، والظاهر أنه التقى بمعاون رئيس الوزراء، ورئيس الأمن الداخلي في البلاد، ثم عاد عصر يوم ١/٤/ إلى قم».

واستمر سعي الأعداء ومعارضي الإمام الخميني في تشويه صورة الإمام، فعمدوا إلى نشر الكثير من الشائعات الكاذبة التي يروجها جهاز السافاك، وكانوا بعدها ينظروا ردود الأفعال عند الناس. ولكن بالإضافة إلى سعي الأجهزة الأمنية الحكومية في ترويج الإشاعات لاغتيال شخصية الإمام، يمكن أيضاً أن نحتمل قيام بعض الأفراد التابعين لبعض التيارات السياسية أو الحوزة، بترويج مثل هذه الإشاعات ضد الإمام عن جهل أو عدم فهم، كما يشير هذا التقرير:

«في الكثير من الموارد كان المجاهدون وأنصار الإمام يقومون بترويج بعض الشائعات لإشغال رجال السافاك والتمويه عليهم، بحيث كانت الأجهزة المعنية تستهلك وقتاً وطاقات كبيرة للتأكد من صحة أو سقم هذه الشائعات». (ج١٨، ص ١١).

المجلد الحادي والعشرون:

اختص هذا المجلد، ببحث الوثائق الخاصة بموضوع (الإمام والحكومات والمسائل العالمية)، مع عناوين فرعية: (الإمام والنظام البعثي في العراق) و (الإمام وفلسطين).

إنّ الإمام الخميني لم يخضع أبدا إلى رغبات وميول الحكومات التي تعاقبت على إيران والعراق، وبالتالي لم يربط تحركاته ومواقفه الأصولية والإلهية مع هذه الرغبات.

لذلك فقد استمر في طريقه القويم بشجاعة وتدبير كامل سواء في السنوات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) أو السنوات بين (١٩٦٨ ـ ١٩٧٩م) أي فترة الإنقلابين الذين قام بهما البعثيون في العراق.

حيث تشير إلى ذلك الوثيقة المؤرخة بتاريخ: (١٠/٢/١٣٤٨هـ.ش) أي بعد فترة قصيرة من لقاء الإمام بالمسؤولين العراقيين، إذ ينقل ممثل السافاك في العراق: (عندما رفض الإمام الإستجابة إلى مطالبهم، هددوه بإخراجه من العراق). (ج٢٠، ص ١١).

الوعي وشمول الرؤية:

عندما طرح الإمام الخميني نظرية الحكومة الإسلامية، في سنة (١٩٦٩م)، فإنه بدء العد التنازلي لإسقاط النظام الديكتاتوري في إيران، لكن مع ذلك رفض طلب حكومة البعث في العراق ـ بماهيتها الديكتاتورية ـ المشابهة لحكومة الشاه ـ بسبب اختلافاتها مع حكومة إيران، واعتباراتها السياسية، بإصدار بيان ضد الحكومة الإيرانية، كما تشير إلى ذلك الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٣٠/٢/١٣٤٨هـ.ش) حيث تذكر لقاء محافظ كربلاء ووزير خارجية العراق مع الإمام والطلب منه باتخاذ موقف ضد الحكومة الإيرانية. إنّ الإمام الخميني ومنذ الأيام الأولى لجهاده الإسلامي

قد شدد هجومه ونقده على أمريكا وإسرائيل الحاميين الأساسيين لدكتاتور إيران بموازاة نقده ومعارضته للحكومة الفاسدة في إيران، وكان يعتبر المسؤولين في نظام الشاه عملاء لإسرائيل والصهاينة. حيث قال في خطابه بتاريخ (٢٦ / ١ /١٣٤٣هـ.ش): «أيها الناس، أيها العالم يجب أن تعلموا أن شعبنا ضد الاتفاقية مع إسرائيل...» (ج٢٠ ص٣١٧).

«إني أعلنت لجميع الدول الإسلامية وللمسلمين في العالم، أن أبناء المذهب الشيعي الأعزاء يكرهون إسرائيل وعملائها، ويشعرون بالكراهية والانزعاج من جميع الحكومات التي تتعامل مع إسرائيل» (ج٢٠، ص ٣١٨).

وكان جهاز السافاك يتابع باستمرار هذه المواقف الثابتة للإمام سواء أثناء فترة وجوده في إيران أو في المنفى. وتم تثبيت هذه المواقف في وثائق السافاك التي تم نشرها أيضاً في المجلد العشرين من هذه المجموعة.

المجلد الثاني والعشرون:

يتضمن هذا المجلد الوثائق الخاصة بالمواضيع التالية:

(الإمام ووسائل الإعلام العالمية) و(نهضة الإمام وردود الأفعال وانعكاساتها خارج البلاد).

وحول هذا الموضوع، تم رصد أسماء (١٥) وكالة أنباء، وصحيفة (أسبوعية ونصف شهرية) ونشرية، مسجلة في وثائق السافاك الموجودة في الملف الشخصي للإمام، تتضمن موضوعات تتحدث حول الإمام الخميني ونهضته الإسلامية.

كذلك نجد بعض التقارير على هيئة مسودات كانت تستنسخ ليتم تبادلها بين دور النشر. وكانت أول وثيقة منها تحمل التاريخ (١٠ مرداد سنة ١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م) وآخرها تحمل التاريخ (٣دي سنة ١٣٥٧هـ.ش)، حيث تم نقل الوثيقة الأولى من وكالة الأنباء الفرنسية عن جريدة (الأهرام) شبه الرسمية في القاهرة، بتاريخ (١٠ مرداد سنة ١٣٤٣هـ.ش).

عوامل ساعدت في تكوين شخصية الإمام قدس سره

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني(١)

مقدمة:

تطرح هذه المقالة نظرة عميقة ودقيقة لتفاصيل مهمة من حياة الإمام الخميني قدس سره، وتسعى إلى بحث وتحليل طبيعة الشخصية الثورية لهذا النموذج المتعالي من خلال التعريف بمواقف بعض الشخصيات والأساتذة الذين تركوا آثاراً وبصمات مهمة في شخصية الإمام الثورية.

وقد تطرق الكاتب إلى حياة بعض النماذج العلمائية الحقيقية الحريصة على سمو الأمة والإسلام، وهم من الشخصيات التي وصفها المؤلف بأنهم (تغلبوا على أهوائهم النفسية في سبيل الله).

كما تحدث الكاتب عن الظروف التي أحاطت بشهادة والد الإمام ومقارعته للظلم والطغاة؛ وعمد إلى دراسة وتحليل الشخصية الثورية لآية الله الشاه آبادي الفقيه والفيلسوف والعارف

---

١ كاتب ومحقق في العلوم الإسلامية.

بالله وهو أستاذ الإمام في العرفان؛ ليبين المؤلف من خلال دراسته لهاتين الشخصيتين مقدار تأثيرهما على شخصية الإمام الثورية والمعنوية.

وتطرق المؤلف أيضاً في هذا القسم من المقالة إلى الشخصية الثورية الخاصة لآية الله مدرس، فأشار فيها إلى نقاط مهمة تركت تأثيرها في طبيعة الشخصية الثورية للإمام قدس سره.

وعلى هذا الأساس، فإن القارئ سيتعرف في هذه المقالة على بعض الشخصيات الثورية البارزة التي كانت تمثل نموذجاً وقدوة حسنة في حياة قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني قدس سره وأنها أثرت أثرها الإيجابي في تركيب شخصيته الثورية.

وأشار الكاتب إلى الدور الأساسي الذي قام به المرحوم الإمام الخميني (قدس سره) في تنامي النهضة الإسلامية للشعب الإيراني المسلم طيلة ستة عشر سنة، ونجاحها في القضاء على النظام الشاهنشاهي الديكتاتوري الذي دام أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ورميه في مزبلة التاريخ.

وهذا الموضوع لا يحتاج إلى البحث والاستدلال، بل لا بد من القول أن: الإمام هو أول من بدأ الثورة الحقيقية للقضاء على

هذا النظام، وأثمرت جهوده المستمرة وثباته ورؤيته الإلهية الخاصة، إلى انتصار الثورة.

لم يكن للثورة الإسلامية أن تنتصر، ولم يكن للجمهورية الإسلامية أن تقام على أنقاض النظام الشاهنشاهي، لولا المواقف البطولية التي أبداها الإمام الخميني قدس سره، خاصة بياناته التي أصدرها في أحداث سنة (١٩٦٢م) حول اتحادات الولايات وأدت دوراً كبيراً في سقوط حكومة أسد الله علم، وكذلك مواقف الإمام في المرحلة الثانية من النهضة الإسلامية، خاصة الموقف السريع والقوي للإمام في مواجهة الاستفتاء الذي أقامه الشاه، وبياناته القوية في يوم عاشوراء سنة (١٩٦٣م) والتي أدت فيما بعد إلى اعتقاله لمدة عشرة أشهر في طهران.

إضافة إلى مواقف الإمام في المرحلة الثالثة من النهضة الإسلامية وبياناته في إدانة قانون الحصانة القضائية والسياسية للرعايا الأمريكيين (كابيتولاسيون)، والتي أدت إلى نفيه إلى تركية لمدة أحد عشر شهراً، وإقامته الجبرية في النجف الأشرف لمدة ثلاثة عشر سنة، ثم هجرته إلى باريس وإقامته فيها لمدة أربعة أشهر، ثم عودته الظافرة إلى إيران وتحقيقه الانتصار العظيم. وقد دوّن المؤلف جميع هذه الأحداث الشاقة والمواقف

البطولية في كتابه (نهضت روحانيون إيران)، والتي أدى الإمام دوراً كبيراً فيها من خلال مواقفه البطولية ومقاومته الشجاعة وثباته على طريق الحق.

الآن ينبغي التعرف على العوامل التي أدت إلى ظهور هذه النهضة بواسطة الإمام قدس سره والتي قل نظيرها في التاريخ، وما هي الدوافع التي أثرت في تركيب شخصيته السياسية والدينية، بحيث جعلته يقدم على مثل هذه المخاطرة الكبيرة، ولم يتوقف حتى حقق ما أراد؟!

ورغم المقالات والكتب الكثيرة التي بحثت جميع الأبعاد في حياة الإمام وشخصيته الذاتية، وناقشت الأسباب التي أدت إلى قيام هذه النهضة العظيمة، وكان المؤلف أكثر من كتب، حول هذا الموضوع من خلال مقالاته وأحاديثه ومؤلفاته الكثيرة، إضافة إلى ما كتب في الأحد عشر مجلداً من كتابه الذي أشرنا إليه؛ لكن مع ذلك فإننا نجد أن ما جاء في هذه المقالة يحمل شيئاً جديداً لم يتطرق له أحد بهذا التفصيل من قبل.

وسنعرض الآن على القراء الكرام بعض النقاط المهمة حول هذا الموضوع، نأمل أن تحظى باهتمامهم، والعمل على نقد مواضع الخطأ فيها:

الصفات التي اختص بها الإمام من الناحية الجسدية والروحية:

تميز الإمام الخميني قدس سره من الناحية الجسدية والروحية بصفات خاصة ميزته عن الآخرين، فكان مصداقاً للقول:

(الله أعطى لكل شخص ما يليق به)، فالله تعالى وهب هذه الصفات الخاصة للإمام رحمه الله، فلم تكن بالشيء الذي يمكن أن يكتسبه الآخرون بالتحريف والجهد؛ بل كانت صفات اختص بها الإمام دون غيره. والإمام في خطبته التي ألقاها في يوم من الأيام بعد درسه في المسجد الأعظم في قم ـ وكان الكاتب حاضراً فيها ـ قال أمام الجمع الغفير من الناس مشيراً بيده إليهم ـ وللإمام صورة بهذه الهيئة ـ: «والله لم أخش أحداً أو شيئاً حتى الآن»!

إنّ هذا القسم عندما يصدر من مرجع تقليد!! إذن تصوروا ما هي سلامة الروح وقوة الجسم اللتان يملكهما حتى يتمكن من قول هذا الكلام. وخلال الستة عشر سنة من عمر الثورة أثبت الإمام هذا المعنى، وجميع العالم فهموا أن هذه الشخصية العظيمة فعلاً لا تخشى أحداً أو شيئاً غير الله تعالى، وقد ذكر الإمام تمسكه الشديد بالله في كلماته التي كانت تذاع في الراديو قبل أذان الظهر، إذ قال: نحن كلنا لا شيء من دون الله، وهو كل

شيء. كان هذا جانباً من شخصية الإمام الذاتية وطبيعته الوجودية، والآن ينبغي التطرق إلى العوامل التي يمكن أن تكون قد أثرت في تكوين الرؤية السياسية والدينية للإمام.

استشهاد والد الإمام في مواجهة الظلم والظالمين:

لقد لاحظ الإمام منذ سن الطفولة، كيف كان والده ـ باعتباره رجل الدين في المنطقة ـ يقاوم الظالمين والظلمة ويدافع عن المستضعفين، وكيف قدم حياته في سبيل هذا النهج واستشهد في ربيع شبابه على يد جلادي النظام الحاكم آنذاك.

فتركت هذه الذكريات تأثيراً إيجابياً كبيراً على تكوين شخصية هذا الطفل الصغير، الذكي، الموهوب، واستمر هذا التأثير على مدى مراحل حياته، خاصة وقد عاش المعاناة والجهد الذي بذلته عمته الكريمة السيدة (صاحبة) وأخواه السيد مرتضى والسيد نور الدين في كشف مؤامرة قتل والده وأخيه، حتى أضطر عين الدولة ـ رئيس الوزراء آنذاك ـ إلى الأمر بإعدام قاتليهما في ساحة الإعدام في طهران، ليلقوا جزاء عملهم المشين. فكان هذا الموضوع كافياً لكي يدرك (السيد روح الله) منذ طفولته أن يصبح مثل والده يقارع الظلم والظالمين، ويدافع عن المستضعفين حتى لو كلفه ذلك حياته.

ثورة الحاج نور الله الأصفهاني:

في سنة (١٩٢٧م) وبعد أن عمد رضاخان البهلوي بعد سنتين على تشكيل مجلس المؤسسين وتغيير الدستور لإنهاء السلالة القاجارية وتنصيب نفسه ملكاً لإيران، قدم الحاج نور الله الأصفهاني ـ وكان أحد فقهاء أصفهان العظام ـ إلى قم مع عدد من علماء أصفهان لينضم إلى الحوزة العلمية في قم، وحتى يتمكن من إيصال اعتراضه بسهولة إلى رضاخان والحيلولة دون استمراره في غيّه والتفرد في سلطته، دعا الحاج نور الله علماء المدن الأخرى أيضاً لينضموا إليه في قم، فتجمع فيها عدد كبير من العلماء. وطيلة شهرين أخذ ممثلوا رضاخان بالتردد بين قم وطهران خاصة وزيره (تيمورتاش)، فأدى ذلك إلى انتشار نهضة الحاج نور الله في كافة أنحاء البلاد، مما دفع رضا خان للتفكير في حل لها خوفاً من استمرارها لفترة طويلة مما قد تؤدي إلى نتائج وخيمة يصعب تجنبها، وبعد شهرين قُتل الحاج نور الله بشكل غريب في قم، فشاع أنه قتل بأمر من رضا خان بحقنة هواء، مما أدى ذلك إلى تفرق العلماء في البلاد، وفشل الثورة. وكان الإمام في ذلك الوقت في سن الخامسة والعشرين. فشهد تلك النهضة العلمائية وتابع أحداثها وفشلها، حتى إنه تحدث عن أحداثها عندما كان منفياً في النجف الأشرف، حيث قال:

(في زمن حكومة هذا الرجل من سوادكوه ـ كان رضا خان من أهالي مدينة سوادكوه في مازندران ـ انتفض عدد من علماء أصفهان وقدموا إلى قم مع عدد كبير من علماء البلاد ـ وكنت شاهداً على هذه الواقعة ـ لكن رضاخان وأعضاء حكومته واجهوا هذه النهضة وقمعوها في مهدها، وعمدوا إلى خداع رجالاتها أو تفريقهم، على كل حال انتهى الأمر بفشل الثورة).

حادثة نفي المرحوم بافقي:

بعد مضي ثلاثة أشهر على فشل ثورة الحاج نور الله، أي في نوروز سنة (١٩٢٨م)، قدمت إلى قم زوجة رضاخان وبناته للمشاركة في مراسم تحويل السنة الجديدة؛ ونظراً لعدم رعايتهن آداب الحجاب الإسلامي، تعرض لهن المرحوم الشيخ محمد تقي بافقي ـ وكان أحد علماء الحوزة والمسؤول عن توزيع شهرية الطلاب ـ ناهياً لهن عن المنكر، فوصل الخبر سريعاً إلى طهران، مما دفع برضا خان وجلاوزته للقدوم إلى قم، فذهب إلى الحرم(١)، وأخذ يضرب المرحوم البافقي ويركله برجله، ثم أمر بسجنه في مركز الشرطة في قم.

---

١ حرم السيدة (فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليهما السلام).

وبعد عدة أشهر أمر رضاخان بنفيه إلى مدينة (شهرري) ليبقى في هذه المدينة طيلة حكم رضاخان.

وقد أثرت هذه الحادثة كثيراً على طلاب الحوزة العلمية في قم وكان من بينهم الإمام الخميني قدس سره، لكن لعجزهم عن مواجهة هذا النظام لم يكن بيدهم شيء سوى معاداة هذا الطاغية. أما المرحوم البافقي فقد استمر في نقده لأعمال رضاخان وسلوكه خاصة عندما كان يرتقي المنبر في مرقد السيد عبد العظيم الحسني (ع) في طهران.

الأستاذ ووالد الأستاذ:

في سنة (١٩٢٨م) انتقل آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي من طهران للإقامة في قم وتدريس العرفان الإسلامي فيها، مما دفع الإمام الخميني قدس سره للحضور في درسه لمدة سبع سنوات تقريباً.

وكان آية الله شاه آبادي فقيهاً، وفيلسوفاً، وعارفاً بالله، وأحد الفقهاء العظام، وقد تمكن الإمام خلال هذه الفترة الطويلة من التعرف جيداً على شخصية الأستاذ والتاريخ العلمي والجهادي له ولوالده آية الله الميرزا محمد جواد بيد آبادي الأصفهاني المتوفى سنة (١٣١٢هـ ق).

وقد سمع الإمام من أستاذه أن والده آية الله الميرزا محمد جواد بيد آبادي الأصفهاني، كان من تلامذة الفقيه الأعظم صاحب الجواهر، وكان يهتم كثيراً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا كان يقيم الحدود الشرعية في أصفهان، مما أثار حفيظة ناصر الدين شاه القاجاري عندما سمع بالخبر، فامتعض كثيراً ومنعه من إقامة الحدود؛ لكن آية الله بيد آبادي لم يكترث لأمره واستمر بتطبيق أحكام الشريعة الإلهية.

ولما رأى الشاه القاجاري عدم تأثير أوامره المستمرة على الميرزا، أمر بنفيه إلى طهران، حتى يتمكن من منعه في إقامة الحدود الشرعية.

وعلى هذا الأساس، في سنة (١٩٢٥م) انتقل الميرزا للإقامة في طهران مع ولديه محمد علي (آية الله شاه آبادي) وعلي محمد، وبدأ بإقامة صلاة الجماعة في أحد مساجدها.

وكان في طريقه بين المسجد والمنزل محلاً لبيع المشروبات الكحولية لأحد الأرامنة اسمه (كنت)، حيث كان المحل الرئيس لبيع المشروبات إلى بلاط ناصر الدين شاه. في البداية، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعى آية الله بيد آبادي إلى نصيحته بالكف عن بيع الخمور لأنه مخالف للشرع، لكن كنت

الأرمني لم يهتم بكلامه واستمر في عمله. في اليوم التالي وبعد انتهاء صلاة الجماعة، سار آية الله بيد آبادي مع ولديه وعدد كبير من المصلين إلى المحل، وقاموا بإفراغ الخمر من جميع الأواني وسكبها في المجاري، لكنه أمر المصلين بعدم كسر أواني الشراب لأن لها قيمة مالية. بعد أن سمع ناصر الدين شاه بالحادثة، أرسل إلى الميرزا يستفهم منه، ما الذي فعلته؟ فأجاب الميرزا: (إن هذا العمل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كنت أتصور أنك ناصر الدين، لكن أتضح لي أنك كاسر الدين)، فما أن سمع الشاه هذا الجواب حتى أمر بمتابعة القضية، ولما رأى آية الله الميرزا محمد أنه عازم على إيذائه، قرر العودة إلى أصفهان.

لكن ظِلَّ السلطان بن ناصر الدين شاه ـ وكان حاكم أصفهان آنذاك ـ ما أن سمع بهذا القرار حتى أبلغ والده بضرورة منعه وإبقائه في طهران، لأن في عودته إلى أصفهان خطراً على التاج والعرش. عندها قرر رضا قليخان سراج الملك لقاء الميرزا وملاطفته لصرفه عن العودة إلى أصفهان، فقبل الميرزا البقاء في طهران بشرط أن يشتري الحاكم محل كنت الأرمني ويعمل على تحويله إلى مسجد، فأذعن سراج الملك لهذا الشرط وبنى في مكان المحل مسجداً سمي باسم سراج الملك وهو المسجد

الموجود حالياً في شارع أمير كبير، وبعد إكمال المسجد أخذ الميرزا بإقامة صلاة الجماعة فيه، ولازال هذا البيت مكتوباً على باب المسجد:

حسن توفيق بين كه مسجد كرد

سطح ميخانه را سراج الملك

أي: انظر إلى حسن التوفيق بأن بدّل سراج الملك محل الخمور إلى مسجد.

نعم، لقد سمع الإمام الخميني قدس سره هذه الحادثة التي تعرض لها والد أستاذه والتي جعلته يقيم في طهران. فتصور كم تركت هذه الحادثة من آثار عظيمة على شخصيته في محاربة الطغاة.

أما ولده آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي أستاذ الإمام في العرفان، فقد أقام لفترة في النجف الأشرف وسامراء، وتتلمذ على يد آية الله الآخوند الخراساني وآية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي؛ وبعد عودته إلى إيران أقام صلاة الجماعة في مسجد سراج الملك لفترة طويلة، في حين كان يقيم حلقة درسه في منزله، فكان مشغولاً بالتدريس وتبليغ الدين.

وكان الميرزا محمد علي شاه آبادي كوالده مجاهداً، واعياً، ومراقباً يقف برجولة وبطولة بوجه جميع الانحرافات التي تصدر من أي كان. وقد أدرك منذ بداية الصراع بين آية الله السيد حسن مدرس ورضا خان، السلوك المنحرف والمرائي الذي كان يتبعه رضاخان، وتظاهره بالمشاركة في مجالس العزاء وزيارة بيوت العلماء وتقبيل أيديهم، واعتبر ذلك نوعاً من التملق والمراءاة. خطب آية الله الحائري ـ مرجع التقليد في قم ـ في المجلس في دورته الرابعة، وقال: (رغم صدور بعض الأضرار من رضاخان، لكن منافعه أكثر من مضراته، لذا ينبغي علينا السعي لمعالجة هذه الأضرار، لتستفيد البلاد من منافعه). فردّ عليه آية آية شاه آبادي، قائلاً:

(إنّ هذا الرجل لم يصل حتى الآن إلى السلطة، ويقوم بتقبيل أيدي العلماء والمراجع والتظاهر بالتدين، والكلام عن محبته لأهل البيت عليهم السلام؛ لكنه إذا وصل إلى السلطة سيجافي جميع العلماء، وستكون أول من يتعرض لضرباته). وبعد فترة اتضح صحة حدس المرحوم شاه آبادي، إذ أمر رضا خان بنفي آية الله مدرس، ثم أمر بقتله بالسم، فاستشهد على أثرها رحمة الله عليه. وبدأت بعدها مؤامرات رضاخان وجفائه للعلماء تتضح يوماً بعد يوم حتى أصبح ملك إيران المطلق، ورغم قدرته وسلطته

الشديدة إلاّ أن آية الله شاه آبادي ظل يناديه بلقبه السابق (بالاني)(١). ولمواجهة تزايد قدرة الشاه وسلطته على العلماء، دعا آية الله شاه آبادي العلماء للتجمع في صحن السيد عبد العظيم الحسني (ع) (٢) اعتراضاً على سلوك رضا خان وأعماله المخالفة للشرع. وقد لبى نداء هذا العالم العظيم عدد كبير من علماء طهران (حوالي سبعين عالم)، واستعدوا للتجمع في الصحن للاعتراض على حكومة رضاخان؛ لكن وللأسف لم يحضر أغلب العلماء لخوفهم الشديد من قدرة الشاه مما اضطر آية الله شاه آبادي للذهاب وحده مع اثنين فقط من العلماء، والاعتصام في داخل الصحن الشريف.

وقد بقوا هناك حتى حلّ شهر محرم الحرام وأقيمت مجالس العزاء على سيد الشهداء (ع)، فاستغل آية الله شاه آبادي هذه الأيام لارتقاء المنبر في تلك المجالس، وأخذ يفضح مؤامرات الشاه وأعماله المخالفة للشريعة، حتى إنه كان يخاطب الشاه بألقاب تقلل من قيمته.

---

١ اتخذ رضاخان فيما بعد لقب (البهلوي) بدلاً من (بالاني)، وهو اسم عائلة الميرزا محمود خان عضو وزارة البريد، وعنوان البريد للمصرف الملكي الإنجليزي، فأصبح اسمه فيما بعد رضاخان البهلوي.

٢ من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (مرقده في شهر ري في طهران).

وأثناء فترة الاعتصام كتب آية الله شاه آبادي، رسائلاً إلى علماء إيران في المدن الأخرى وعلماء العراق، يوضح لهم فيها الخطر الذي يهدد الإسلام من قبل رضاخان، وطلب منهم فضح مؤامراته وجرائمه على المنابر. فأرسل أحد علماء النجف رسالة له، يستفسر فيها عن سبب اعتصامه، فأجابه آية الله شاه آبادي:

(... لقد ورثنا ديناً استشهد في سبيله منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وحتى الآن، الأئمة عليهم السلام والصحابة وأنصارهم والعلماء.. وضحى من أجله آلاف الشهداء.

وقد وصلت إلينا ثمرة هذه التضحيات، لذا تقع علينا مسؤولية المحافظة عليها، فإذا ما رأينا هذه الأمانة تتعرض للنهب والإتلاف من قبل هذه الحكومة الظالمة، فعلينا تقع مسؤولية المحافظة عليها بكل ما نملك لأننا نعتقد أن دماءنا ليست بأفضل من دماء سلفنا الصالح).

وقبل بدء اعتصام آية الله شاه آبادي، كانت تقام في مرقد السيد حمزة المجاور لمرقد الشاه عبد العظيم (ع) مجالس عزاء سيد الشهداء (ع)، فقام آية الله شاه آبادي بتعطيل هذه المجالس واستبدالها بمجالس للوعظ والخطابة، وكان يشترك فيها بنفسه، حتى أنه صعد المنبر في اليوم الأخير وخطب قائلاً: (اللهم إنك

شاهد على ما كتبته للعلماء الأعلام في النجف وقم ومشهد وأصفهان وسائر البلاد، فماذا كتبت لهم؟ كتبت لهم رسالة وأتممت فيها عليهم الحجة، وفي هذه الليالي والأيام العشرة إذا ما كررت ذلك في هذه المرة، أكون قد قلتها ثلاثين مرة، وبذلك أتم الحجة على الناس أيضاً، أن هذا الطاغية ليس عدواً لي، بل هو يعادي الإسلام والقرآن، ويعادينا لأننا حماة الإسلام وحفظته، وإذا ما أعطيناه الفرصة، فإنه سيجتث الإسلام والقرآن من جذورهما في هذه البلاد). وقد سعى الشاه رضاخان خلال فترة اعتصام آية الله شاه آبادي في مرقد الشاه عبد العظيم (ع)، إلى إرضائه بشتى الوسائل وإنهاء اعتصامه، حتى أنه كان مستعداً للذهاب بنفسه والتفاوض معه، فأرسل إليه عربته الملكية لإحضاره إلى طهران؛ لكن آية الله شاه آبادي رفض كل ذلك. استمر اعتصام آية الله شاه آبادي مدّة أحد عشر شهراً تقريباً، مما دفع بعض علماء طهران أمثال: آية الله الشهيد سيد حسن مدرس، وآية الله الشيخ عبد النبي النوري وعلماء المدن الأخرى، للحضور إلى مرقد السيد عبد العظيم (ع) والطلب منه إنهاء الاعتصام. فاستجاب الميرزا لذلك بعد أن رأى عدم فائدة الاعتصام مع تنامي قدرة الشاه وسلطته، فأنهى اعتصامه وعاد إلى طهران، ولم يبق فيها سوى فترة قصيرة، انتقل بعدها للإقامة في قم. حدثت هذه الحادثة في سنة ١٣٤٧هـ.ق (١٩٢٨م)، وهي السنة التي طلب فيها الإمام الخميني

قدس سره منه البدء بدرس العرفان، فوافق الميرزا، واستمر حضور الإمام في هذا الدرس لمدة سبع سنوات(١). وبعد مضي هذه الفترة على إقامته في قم والتدريس فيها، عاد بعدها آية الله شاه آبادي إلى طهران، حيث أقام صلاة الجماعة في مسجد في منطقة شاه آباد، لذلك أطلق عليه الناس لقب (شاه آبادي). وكان الإمام قدس سره يذكر كثيراً أستاذه بالخير في موارد مختلفة ويطلق عليه (شيخنا). ومن بين المواقف اللطيفة التي ينقلها عنه، وذكرها في عدة موارد من بينها ما جاء في (صحيفة الإمام) أو (صحيفة النور)، إذ يقول الإمام: (كان شيخنا يطلق على أدعية الأئمة الأطهار اسم (القرآن الصاعد) في قبال الكتاب السماوي وهو القرآن النازل).

وقد كرر الإمام كثيراً، أمام العديد من الأشخاص قوله: (لم أر في حياتي شخصاً بهذه اللطافة وهذه الأهمية).

ولم تقتصر استفادة الإمام رحمه الله طيلة هذه السنوات على استفادته من أنفاس أستاذه آية الله شاه آبادي القدسية فقط؛ بل كان يسمع منه أيضاً مواقفه البطولية في مواجهة رضاخان، وهي

١ تمت الاستفادة من كتاب (شاه آبادي بزرگ ـ آسمان عرفان) في ذكر السيرة الشخصية لآية الله الشاه آبادي ووالده.

حتماً أكثر بكثير مما جاء في هذه المقالة؛ كما كان يتابع حتماً أخبار اعتصام هذا المرحوم لمدة أحد عشر شهراً في مرقد شاه عبد العظيم (ع)، والتي كانت تصل إلى الحوزة العلمية في قم؛ ولعل هذه المواقف هي التي دعت الإمام ﵀ للإصرار على دراسة العرفان الإسلامي على يده، ولذلك قضى أكثر مدة دراسته عند هذا الأستاذ الكبير.

وقد كتب الإمام الخميني ﵀ في بيانه بمناسبة استشهاد حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي شاه آبادي ابن أستاذه، وكان في هذا البيان يطلق على ابن أستاذه لقب (ابن أستاذي): (إنّ هذا الشهيد العزيز.... ابن شيخنا الجليل، الذي كان له عليّ حق الحياة كرجل دين في الحوزة، ولذلك لساني وقلمي يعجزان عن أداء حق شكره).

ويقول في موضع آخر: (وربما أستطيع الإدعاء أن أحداً لم يعرفه حقاً مثلما عرفته أنا).

وينقل عن آية الله السبحاني التلميذ المقرّب للإمام الخميني ﵀، أن آية الله شاه آبادي قال: (عندي تلميذ باسم (روح الله) لو تعطيه درساً لبعض دقائق، لن يقول هذا قليل؛ ولو تعطيه درساً لعدة ساعات، فلن يقول هذا كثير). والإمام قال أيضاً: (لو كان آية الله

شاه آبادي يدرس لسبعين سنة، لكنت أحرص على حضور درسه؛ لأنه كان يزودنا كل يوم بكلام جديد).

وينقل آية الله الشيخ محمد شاه آبادي الابن الأكبر لأستاذ الإمام، أن آية الله شاه آبادي كان يذكر دائماً تلميذه الملتزم باسم (روح الله).

وفي لقائه عائلة الشهيد الشيخ مهدي شاه آبادي سنة (١٩٨٥م)، قال الإمام:

(إنّ المرحوم آية الله شاه آبادي، إضافة إلى كونه فقيهاً وعارفاً كاملاً، كان أيضاً مجاهداً بمعنى الكلمة).

آية الله الشهيد مدرس (قدس سره):

لقد تأثر الإمام الخميني رحمه الله بشخصية آية الله الشهيد مدرس الدينية والسياسية القوية أكثر من غيره، وكان على معرفة بتفاصيل حياته؛ بل كان يذهب أحياناً إلى المجلس للاستماع إلى كلام وخطب رجل الدين المجاهد القوي، ومشاهدة تأثير وجوده في المجلس على الأعضاء الآخرين المؤيدين والمخالفين لكلامه. وكان يشارك أيضاً في حلقة درسه في مدرسة (سبهسالار). وبعد كل هذه المواقف والجهاد ضد رضاخان، أمر الشاه سنة (١٩٢٨م)

بنفي المرحوم مدرس إلى منطقة (خواف) ثم إلى (كاشمر) وبعد مرور عشر سنوات قضاها في المنفى، دس له رجال الشاه السم فاستشهد على إثرها المرحوم مدرس سنة (١٩٣٨م). كان الإمام كثيراً ما يمدح في خطبه الشخصية الممتازة لآية الله الشهيد مدرس (قدس سره)، ويثني على مواقفه الايجابية البناءة. ومن جملة كلامه الذي ألقاه في إحدى خطبه في حسينية جماران(١)، قال الإمام: (لقد شاهدتم تاريخ المرحوم مدرس، كان سيداً نحيلاً جداً، يرتدي لباساً خشناً، فكيف لمثله أن يواجه قدرة وسلطة الشاه، والتي أدرك فيها الجميع أن زمان رضاخان غير زمان رضاشاه. إذ كان حاكماً متسلطاً لم يشهد التاريخ مثيلاً له، فوقف المرحوم مدرس أمام هذه الطاغية، سواء في المجلس أو خارجه، إلى درجة أن قال له رضاخان: سيد، ماذا تريد مني؟ فأجابه السيد: أريد أن لا تكون موجوداً.

ذهبت يوماً إلى حلقة درسه التي كان يقيمها في مدرسة سبهسالار (حالياً مدرسة الشهيد مطهري)، فكان طالباً متواضعاً كأنه لم يكن لديه أي عمل آخر سوى التدريس؛ إذ كان يتمتع بقدرة معنوية كبيرة رغم انشغاله التام في خضم المسائل السياسية

---

١ في سنة ١٩٨١م.

آنذاك، بحيث يذهب بعد الدرس الوحيد إلى المجلس ليطرح مداخلاته الاعتراضية. وعندما يذهب إلى المجلس، كان الشخص الذي يحسب له الجميع ألف حساب، وقد رأيت عن قرب جو المجلس في ذلك الوقت، وكأن المجلس كان ينتظر وصوله رغم اختلافهم معه؛ لأن المجلس كان يشعر بوجود نقص فيه عند غياب المدرس، فإذا ما حضر كأن شيئاً جديداً حدث فيه! فلم كل هذا؟ لأنه كان رجلاً لا يهتم أبداً بأي مقام أو ثروة أو أمثالها، ولم يكن المنصب ولا الثروة تؤثران عليه. فحياته كانت بهذا الشكل.

وعندما دخل الوالي إلى منزله، ونحن عندما نقول الوالي فإنكم لن تتصوّروا ماذا كان يعني ذلك؟ قال له المرحوم المدرس:

حضرة الوالي أنا أسكب ماء النارجيلة، وأنت أعد لنا النار أو بالعكس. فعمل على تحقيره إلى الحد الذي منعه من أن يطمع بشيء آخر، إذ عندما تعامل معه بهذا الشكل وطلب منه أن يعد النار، وهو الحاكم الذي يعظمه الجميع، فإنه قد حقّر شخصيته حتى لا يطمع في شيء منه كأن يطلب منه موقفاً معيناً في الأمور السياسية. كنت موجوداً هناك عندما كتب أحد الأفراد رسالة إلى

رضاشاه في زمان حكومته، وحينها لم يكن حاكماً فقط بل كان طاغية غبياً يسعى لإفناء كل شيء. فجاء الشخص وقال: لقد كتبت شيئاً إلى العدلية، فخذه وأعطه لأحد يوصله إلى حضرة السلطان؛ فأجاب المرحوم مدرس: إنّ رضاخان لا يعرف أصلاً كيف تكتب (عدلية) بالألف أم بالعين! سآخذها لأعطيها له؟! ولم يكن يقول هذا الكلام في غيابه فقط، بل كان يقوله حتى في حضوره أيضاً. فهكذا كانت مواقف المرحوم مدرس؛ لأنه كان رجلاً صالحاً، بعيداً عن أهوائه النفسية، ولم يكن مثل من ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾(١)، فكان يعمل لله وفي سبيل الله، وحياة مثله تكون حتماً بهذا الشكل، إذ لا يمكن أن تكون أسوأ من ذلك، فماذا يفعل ؟ وهو لا يخشى أحداً أبداً. وعندما دخل رضاخان إلى المجلس، وهتف مؤيدوه: عاش رضاخان، عاش القائد، وقف المدرس قائلاً: يسقط القائد، يسقط رضاخان ـ عشت أنا! فتصوروا ماذا يعني الوقوف بوجه رضاخان؟! ولم يكن ذلك إلاّ لأنه كان متحرراً من أهوائه النفسية).

في مسجد الشيخ الأنصاري وأثناء حلقة الدرس سنة (١٩٧١م)، قال الإمام:

---

١ سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(... لقد رأيت المرحوم المدرس (قدس سره) عن قرب، كان من الأفراد الذين وقفوا ضد الظلم، وواجهوا ظلم ذلك الطاغية من سياهكوه، أي وقف بوجه الطاغية رضاخان، وقد أرسلوه إلى طهران باعتباره أحد العلماء الكبار، فحضر من أصفهان بعربة يجرها الحصان. وقد نقل أحد الأفراد الثقة، أنه اشترى عربة وكان يقود حصانها أحياناً حتى وصل إلى طهران، فاستأجر فيها بيتاً متواضعاً. فكنت أتردد كثيراً على منزله للقائه وقد حضر رحمه الله في طهران باعتباره من العلماء البارزين ـ البروز الذي انتفى موضوعه من البداية ـ إذ انتخب عضواً في المجلس ممثلاً عن طهران.

فكان يقف وحيداً بوجه الظلم، وبالطبع كان يؤيده بعض أعضاء المجلس ـ وهم أقلية ـ ـ مثل ملك الشعراء بهار ـ لكنه الوحيد الذي كان يصرح بالاعتراض ضد ظلم رضاخان وتجاوزاته.

وفي تلك الفترة أرسلت الحكومة الروسية تهديداً إلى إيران، حيث أرسلت بعدة جنودها وجيشها حتى وصلوا إلى قزوين، وكانوا يريدون تكبيل إيران بمعاهدة تخرجها من موقف الحياد في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، فطلبوا تمرير هذه

المعاهدة من المجلس، وبقي جميع أعضاء المجلس في حيرة من أمرهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

ونقلت إحدى الصحف الأجنبية هذا الموقف، فذكرت أن أحد رجال الدين قام ويديه ترتعشان ليقف خلف منصة المجلس وقال: إذا كان المفروض أن نموت، فلماذا نقتل أنفسنا بأيدينا؟!

قال هذا الكلام، وصوت ضد القرار، فتجرأ بقية الأعضاء وصوتوا ضد هذا القرار، فرد المجلس هذه المعاهدة، ولم تجرء بعدها الحكومة الروسية على فعل شيء.

إنّ سلوك السياسيين كان بهذا الشكل أيضاً، فهم يزجرون الشخص أولاً، ويلاحظون رد فعله؛ فإذا وقف ثابتاً تراجعوا، وإن تراجع هذا المسكين، تقدموا إليه.

وهذا شبيه بسلوك الحيوانات، إذ ينظر الحيوان أولاً إلى الشخص، فإذا وقف رافعاً يده عليه يهرب منه، أما إذا هرب من أمامه يركض خلفه! فهذه خصلة الحيوان، ألا ينبغي لكم أن تعرفوا قدر رجال الدين؟!).

وفي بياناته سنة (١٩٨٠م) في حسينية جماران، قال الإمام:

(كانوا يحتقرون الناس ولا يحسبون لهم أي قيمة، وقد شاهدت هذه الأوضاع عندما كنت طفلاً في مدينة خمين، حيث أحضروا رجلاً متديناً محترماً وكان رئيس التجار في السوق، فربطوا قدميه وبدؤا بضربه بالعصا أمام الملأ بأمر من حاكم المدينة الفاسد، ومثلاً إذا ذهب أحد العلماء للقائهم، كانوا يجلبون مسكيناً بحضور العالم ويضربونه بالعصا، حتى يفهموا العالم أن عليك الطاعة.

لقد كانت الأوضاع بهذا الشكل في تلك الفترة، وأسوأ من هذا العمل الذي كان يقوم به سفراء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كان عملاً بسيطاً وعظيماً، إذ كانوا يحطمون شخصية ذلك الفرعون أولاً.

وكان للمرحوم المدرس هذه الصفة أيضاً. إذ كان يجلس في ساحة البيت على فراش بسيط، وإذا ما أراد تهيئة النارجيلة كان يفعل ذلك بنفسه، فإذا ما دخل عليه في هذه الأثناء الوالي مثلاً ـ ولعلكم لا تدركون ماذا كان يعنيه الوالي في تلك الفترة؛ لكن المرحوم كان يعطيه النارجيلة ويقول له أنت اسكب الماء فيها، وأنا أشعل النار ـ أو بالعكس ـ ولعله كان يتصرف بهذا الشكل لأن مثل هذه العقول الفاسدة تحتاج لمثل هذا التصرف حتى لا يطمعوا بالشخص؛ إذا لو يتعامل معهم الإنسان بالخضوع والتذلل

كما كان متعارفاً في تلك الفترة، لطمعوا فيه، وفرضوا عليه القيام بعمل معين، لكن إذا ما تعامل معهم الإنسان بشكل بسيط لكنه قوي وصارم، فحينها لا يستطيعون فرض أي عمل عليه.

لقد كان رضاخان يخشى المدرس، لأنه كان إنساناً حقيقياً. وينقل أن المرحوم المدرس، قد قال في تلك الفترة: «في مجلسنا مسلم واحد وهو سيد كيخسروا (الزرادشتي)!»، فقد كان رضاخان يرى أن المدرس رقيباً له، ولم يكن يهتم بالآخرين.

فالمدرس كان يزلزل الجميع إذا ما تحدث، وكانت حياته بهذا الشكل أيضاً، فقد سمعتم بذلك، وشاهدت أنا حياته، حيث كان منزله متواضعاً جداً، ومعيشته أقل من المتوسط، ولباسه كان من الحبقاص المصنوع في إيران).

وفي كلامه الذي ألقاه في (نوفل لوشاتو) سنة (١٩٧٨م)، قال الإمام: (لقد وقعت في تلك الفترة أيضاً مثل هذه الاشتباهات، أن الناس أو من عليهم مسؤولية توعية الناس، لم يدعموا المرحوم مدرس. إذ كان الرجل الوحيد الذي وقف بوجه رضاخان وعارض أعماله المشينة، وكان بعض الأعضاء في المجلس يؤيدون المدرس، لكن البعض الآخر كان يعارض مواقفه بشدة، مع وجود بعض التيارات التي كان يمكن لها أن تدعم مواقف

المدرس في تلك الفترة، ولو دعمت مواقفه لكان من الممكن له أن يزيل شر هذه العائلة من جذورها، لما تمتع به المدرس من رجولة ومنطق قوي ومعلومات جيدة وشجاعة كبيرة وغيرها من الصفات).

وفي وصيته التاريخية سنة (١٩٨١م)، تحدث الإمام أيضاً عن وصايا آية الله الشهيد مدرس ومواقفه، فقال:

(... وصيتي للتيارات الإسلامية التي تتمايل اشتباهاً بين الحين والآخر إلى الغرب والشرق.. أن لا يصروا على اشتباهاتهم ويعترفوا بشهامتهم الإسلامية بخطأهم، ويسيروا في ركب الحكومة والمجلس وهذا الشعب المظلوم ليكسبوا رضا الله، وينقذوا هؤلاء المستضعفين من شر المستكبرين، وعليهم أن يتذكروا كلام المرحوم المدرس رجل الدين الملتزم، حسن السيرة والفكر، عندما قال في ذلك المجلس السقيم: إذا كان علينا أن نموت الآن، فلماذا نقتل أنفسنا بأيدينا).

(وأنا اليوم أيضاً أقول لكم أيها الإخوة المؤمنون في ذكرى هذا الشهيد في سبيل الله، إذا كان مصيرنا أن نموت على أيدي القوى المجرمة أمريكا وروسيا ونلاقي ربنا بشرف مضرجين

بدمائنا الحمراء، فهو أفضل لنا من العيش مرفهين في ظل سلطة الجيش الأحمر في الشرق والأسود في الغرب).

وفي بداية خطابه إلى الشيخ الهاشمي الرفسنجاني بعد محاولة اغتياله الفاشلة، كتب الإمام:

(عندما حاول رضاخان اغتيال المرحوم المدرس، خاطبه المرحوم من المستشفى قائلاً: (أبلغوا رضاخان أني مازلت حياً) ولا زال مدرس حياً حتى الآن، فرجال التاريخ يظلون أحياءاً إلى الأبد).

ومن مجموع ما نقلناه من خطب وكلام الإمام حول آية الله الشهيد مدرس، يتضح جلياً المكانة العظيمة التي كانت له عند الإمام، ومقدار التأثير الذي تركه في شخصية الإمام حتى أصبح قدوة له يحتذي به في مسيرته الجهادية. ومن المناسب أن نعرف أن الإمام ﷺ قد أمر بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بإعادة بناء وترميم مرقد الشهيد آية الله المدرس، ليصبح مزاراً للقريب والبعيد. وأشكر الله على توفيقه لي بأن مكنني وعائلتي من زيارة مرقد هذا الشهيد في (كاشمر)، ونلعن في مرقده رضاخان الذي كان السبب في نفيه واستشهاده.

نفي مراجع وفقهاء النجف إلى إيران:

في سنة ١٣٤١هـ.ق، مارس الاحتلال الإنجليزي في العراق ضغوطاً سياسية وعسكرية على الشعب العراقي، وفرض عليهم القبول بحكومة الملك فيصل، مما أثار حفيظة المراجع والعلماء في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمين، وقرروا جميعاً كاعتراض على هذه الممارسات، ترك العراق والعودة إلى إيران، وفي الواقع كان ذلك نفياً لهم. وهؤلاء العلماء هم:

الآيات العظام، السيد أبو الحسن الأصفهاني، الميرزا محمد حسين النائيني، الشيخ محمد حسين الأصفهاني، الميرزا علي الشهرستاني، السيد عبد الحسين حجت، السيد علي التبريزي، وأخيراً آية الله الشيخ مهدي الخالصي وكان عربياً من قادة الثورة ضد الاحتلال الإنجليزي، وقد أقام جميعهم في قم.

وينقل صديقي العلامة والمتتبع الفقيد المرحوم الشيخ محمد الرازي، هذه الحادثة على نحو الإجمال نقلاً عما جاء في كتاب ريحانة الأدب، والعلماء المعاصرون، وأحسن الوديعة للكاظميني، فيذكر:

(..ما إن دخلوا كربلاء، حتى أقدمت الحكومة العراقية مرة أخرى وبأمر من أسيادها المستعمرين، على إرعاب الناس وتخويفهم، فأمرت بنفي هؤلاء المراجع العظام سنة (١٣٤١هـ.ق).

وعندما وصل خبر نفيهم إلى ملك إيران المرحوم أحمد شاه والشعب الإيراني، حزنوا وتأثروا كثيراً من جهة، وفرحوا جداً من جهة أخرى؛ لأن قدومهم سيزيد إيران الإسلامية عزاً ونوراً، ورحب الجميع بقدومهم من وزراء البلاط والتجار والكسبة ومختلف شرائح المجتمع، وخاصة العلماء ورجال الدين في تلك الفترة، وذهبوا جميعاً لاستقبالهم حتى وصلوا إلى حدود إيران في خسروي. وقصر شيرين، ورافقوهم بحفاوة واحترام كبيرَين على طول مسيرهم بين مدن قصر شيرين وكرمانشاه وهمدان وملاير وأراك حتى وصلوا إلى قم.

وقد تم تعطيل جميع مرافق مدينة قم أثناء قدومهم، كما خرج إلى استقبالهم آية الله الحائري وسائر العلماء والطلاب ومختلف شرائح المجتمع إضافة إلى بعض أهالي طهران، حتى أنهم خرجوا لعدة فراسخ خارج قم احتراماً وتقديراً لهم. وفي يوم آخر حضر أحمد شاه بنفسه لزيارتهم وتقبيل أياديهم مصطحباً معه عدداً من الوزراء والوكلاء وأعضاء الحكومة، مرحبين بهم وأظهروا كل التقدير والاحترام والانقياد لتوجيهاتهم. وطيلة الثمانية أشهر التي قضوها في قم، كانوا يستقبلون باستمرار العديد من الزائرين القادمين من مختلف مناطق البلاد للترحيب بهم.

وقد أقدم آية الله الحائري على تعطيل مباحثته وتدريسه، احتراماً لهؤلاء العظام، وأوكل إليهم مهمة البحث والدرس في قم، وطبقاً لعادتهم الكريمة بدؤا التدريس والبحث واستمروا على ذلك طيلة فترة بقائهم في قم، فاستفاد من فيوضاتهم العلمية العديد من الفضلاء والعلماء... إلى أن عاد المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي بعد عدة أشهر إلى النجف الأشرف، ثم جاء إلى قم مع الحاج الميرزا مهدي الكفائي الابن الأكبر للمرحوم الآخوند الخراساني والشيخ جوادي علاوي الجواهري وكان من مشاهير شيوخ النجف وأشرافها، وأقنعوهم بالعودة إلى النجف، فعادوا إلى العراق باحترام وتجليل، فاستقبلهم العلماء والناس استقبالاً عظيماً قل نظيره حتى وصلوا إلى النجف الأشرف عاصمة التشيع والحوزة العلمية بتاريخها الطويل الذي استمر لتسعمائة سنة).

في تلك الفترة التي وقعت فيها هذه الحادثة، وطيلة الثمانية أشهر التي قضاها هؤلاء العلماء العظام في قم، كان روح الله الخميني رحمه الله طالباً شاباً في الحادية والعشرين من عمره، وقد شهد عن قرب هذه الأحداث. فكان ذلك من المواضيع المهمة التي تركت تأثيراً مهماً على شخصية هذا الطالب الشاب، وبينت له أكثر، الواقع الصعب الذي يمر به الإسلام والتشيع والعلماء. وقد

منحته هذه الحادثة فرصة التعرف على هؤلاء العلماء العظام، خاصة المرحوم آية الله النائيني صاحب كتاب (تنبيه الأمة) الذي طرح فيه آراءه ونظرياته المعاصرة.

ويذكر الإمام هذه الحادثة، بالكلمات التالية:

(لقد أنقذ الميرزا الشيرازي الثاني (الميرزا محمد تقي) العراق من سلطة المستعمرين، إذ أصدرت هذه الشخصية العظيمة وهذا الرجل العظيم ذو المقام الشامخ في العلم والعمل، حكم الجهاد ضد المستعمرين الإنجليز، فأيده العلماء وأطاعهم الناس وجميع العشائر، فجاهدوا وقتلوا وقتلوا، وتحققت جميع هذه المفاخر بفضل مواقف علماء العراق. وقد تم نفي علماء العراق إلى إيران بسبب مخالفتهم ومعارضتهم للأنظمة الحاكمة. حيث تم نفي المرحوم السيد أبو الحسن، والمرحوم النائيني، والمرحوم الشهرستاني، والمرحوم الخالصي، إلى إيران بسبب مواقفهم المعارضة للنظام الحاكم.... وقد شاهدنا بأنفسنا هذه الحادثة).

آية الله السيد محمد تقي الخوانساري:

بعد الحرب العالمية الأولى تعرض العراق لغزو الاستعمار الإنجليزي، فتصدى لهم العديد من علماء العراق وإيران بقيادة المرحوم آية الله السيد مصطفى الكاشاني والد آية الله السيد أبو

القاسم الكاشاني قائد الثورة في العراق، وخرجوا للدفاع عن هذه البلاد، مما اضطر الإنجليز للاستفادة من الطائرات الحربية وتعرضوا للعديد من الهزائم، فأقدموا على مطاردة العلماء المهمين الذين اشتركوا في قتالهم، ونفي الكثير منهم خارج العراق.

ومن بين العلماء الذين تم نفيهم من قبل الاستعمار الإنجليزي، المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري، حيث تم نفيه إلى جزيرة (هنگام) في الخليج الفارسي بالقرب من جزيرة قشم، وبعد قضائه مدة النفي عاد آية الله الخوانساري إلى البلاد وأقام في مدينة قم، وانشغل فيها بالتدريس، كما استفاد أيضاً من درس خارج الفقه والأصول لرئيس الحوزة آنذاك المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري.

وقد درس الإمام الخميني رحمه الله قسماً من دروس السطوح على يده، فتعلق به كثيراً لما تمتع به آية الله الخوانساري من سياسة وقدسية وروح خاصة. وبعد وفاة آية الله الحائري سنة (١٩٣٦م)، تولى مع آية الله حجت وآية الله الصدر (وكانوا يعرفون بالآيات الثلاث) مهمة إدارة الحوزة العلمية في قم، حتى قدم إليها آية الله البروجردي سنة (١٩٤٥م).

كان الإمام في معظم الأوقات يصلي الجماعة في المدرسة الفيضية خلف آية الله الخوانساري، وكان يلتزم بأداء صلاة الجمعة خلفه أيضاً لأنه كان الوحيد الذي يقيم هذه الصلاة ويعتقد بوجوبها خلافاً لمعظم المراجع الآخرين؛ لذا كان الإمام مقيداً بحضورها والسير في كل يوم جمعة من منزله الموجود في بداية المدينة إلى مكان إقامة الصلاة وسط المدينة.

وقد كان الاحترام والتقدير الذي يكنه الإمام لأستاذه الفقيه المجاهد العظيم الشأن، مثيراً للاهتمام والتأمل!.

يذكر الإمام الخميني ﵀ الظروف التي مرّ بها آية الله الخوانساري من الجهاد والأسر والنفي، فيقول:

(أما في أحداث العراق، فما الذي كان ليحدث في هذا البلد لولا جهاد علماء العراق الذي راح ضحيته ابن السيد كاظم؟ فقد حمل علماء العراق البنادق على أكتافهم، وخرجوا لجهاد المستعمرين الإنجليز، وتعرض فيها السيد محمد تقي الخوانساري (قدس سره) للسجن، أي ألقوا القبض عليه مع عدد من العلماء الآخرين فأسروه وأرسلوهم خارج البلاد؛ أي تم نفيه إلى جزيرة (هنگام).

لقد كان يقول: كانوا يعدوننا واحداً بعد الآخر هكذا (واحد، اثنان، ثلاثة) ثم يسلمونا بعدها إلى شخص، كانوا يصفونه، أنه يأكل الإنسان، ويقولون لنا؛ نحن نعدكم حتى لا يجرؤ على أكلكم.

آية الله الحاج حسين القمي:

كان المرحوم آية الله الحاج حسين الطباطبائي القمي أحد المراجع العظام والفقهاء الكبار في مدينة مشهد المقدسة.

وكان أبرز المعارضين لمسألة توحيد الزي التي طرحها رضاخان كمقدمة لخلع حجاب النساء في إيران، وعندما أرادوا تطبيق هذه السياسة في مشهد المقدسة، سافر آية الله القمي للقاء رضاخان ليثنيه عن فكرة خلع حجاب النساء.

وقد كان رضاخان خلال زياراته السابقة إلى مشهد، يحرص باستمرار على لقاء آية الله القمي، وهو بذلك على علم كامل بشخصيته القوية وشهامته وشجاعته.

فعندما حضر الشيخ في طهران واستقر في حديقة سراج الملك الكائنة في شهرري بجوار مرقد حضرة عبد العظيم الحسني، سعى رضاخان إلى تجاهل الشيخ ولم يرفض لقاءه

فحسب؛ بل أمر بعد عدة أيام بمحاصرة مكان إقامته، ومنع تردد الناس عليه.

وعندما سمع أهالي مشهد بهذا الخبر، انتفضوا جميعاً فوقعت أحداث مسجد گوهرشاد، وراح ضحيتها العديد من الشهداء والجرحى بعد أن أطلقوا النار على المعترضين. بعد هذه الحادثة، أقدموا على نفي آية الله القمي إلى العتبات المقدسة، فافشلوا ثورته وحركته، وقد جرت هذه الحادثة في سنة (١٩٣٥م). إنّ ما جرى في حادثة مسجد گوهرشاد، ونفي آية الله القمي بأمر رضا شاه، كان مراً وصعباً على الجميع ومنهم الإمام الخميني ﵀ الذي كان موجوداً في طهران في تلك الفترة. وقد ذكر في إحدى بياناته هذه الحادثة، فقال:

(في تلك الفترة حضر المرحوم القمي في طهران، وكنت موجوداً فيها آنذاك. فجاء إلى مرقد حضرة عبد العظيم وذهبت للقائه، بعدها قام بثورته، لكنهم ألقوه في السجن ثم نفوه بعدها)(١).

---

١ نقلاً عن صحيفة نور، ج٨، ص ٣١.

فتصوروا مدى الألم الذي سببته هذه الحادثة على الإمام روح الله الخميني ذي الثمان والثلاثين سنة باعتباره أحد الفضلاء والمدرسين في حوزة قم العلمية.

آية الله السيد شرف الدين العاملي:

هو آية الله المجاهد والكاتب النابغة المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، كان العالم الأول في زمانه في لبنان، وكان فقيهاً متكلماً، عالماً، ومجاهداً لا يكل، ألف العديد من الكتب القيمة خاصة(الفصول المهمة) و(المراجعات) و(النص والاجتهاد) الذي كان آخر كتبه التي ألفها، وقد قمت بترجمته إلى الفارسية، طبع حتى الآن سبع مرات تحت عنوان(اجتهاد در مقابل نص)، وكانت جميع هذه الكتب نتاج فكره الجديد والعميق وتعبيراً عن شهامته وشجاعته في الدفاع عن أصول التشيع ومذهب أهل بيت العصمة والطهارة، وكانت رداً قوياً على جميع المتحرصين الذين شوهوا اسم الإسلام المحمدي الأصيل منذ صدر الإسلام وحتى الآن. إضافة إلى ذلك، فإن آية الله شرف الدين قد استمر في جهاده العلمي حتى آخر لحظات حياته. ففي سنة (١٩٢٠م) وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقع وطنه (لبنان وسوريا) تحت الاحتلال الفرنسي، مما دفعه للتصدي للجهاد العملي لإنقاذ بلاده من سلطة المحتل، فتعرض في هذا

الطريق للكثير من المصائب والصعاب. وقد ذكرنا سيرة حياته الشخصية في جهاديه العلمي والعملي في مقدمة كتاب (اجتهاد در مقابل نص)، ونكتفي هنا بالإشارة إلى جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، ومواقفه البطولية في وطنه، ونوكل تفصيل سيرته إلى تلك المقدمة، وإلى ما جاء من عرض كامل لسيرته الشخصية وأفراد عائلته ودورهم العلمي والديني، في كتاب (بغية الراغبين) في مجلدين.

عندما احتل الاستعمار الفرنسي سوريا ولبنان، نشر الفساد في البلاد، وعطلّ الأحكام الإسلامية، وأنزل المصائب والويلات على الشعب حتى ضاقوا به ذرعاً، مما دفع السيد إلى رفع راية الجهاد والنضال ضد القوات المحتلة. فبث روح الثورة ضد العدو وفي نفوس الناس خاصة رجال الدين، ونشر الوعي بين أفراد الشعب بضرورة الثورة ضد المستعمرين. فعمل على تشكيل اتحاد ضم رجال الدين وزعماء القوم، وأصدر فيه فتوى الجهاد ضد المستعمرين، فأيدها جميع الحاضرين، مما دفع الفرنسيين إلى إحراق بيته في صور ثم بيته في مدينة (شحور) الذي اختفى فيه لفترة، ودمروا محتويات مكتبته التي كانت تضم العديد من الكتب النفيسة الخطية والمطبوعة، خاصة مؤلفاته الخطية.

كان آية الله شرف الدين ونتيجة لمطاردة الفرنسيين، يغير مكانه باستمرار، فرحل إلى الشام، ثم إلى فلسطين ومنها انتقل إلى مصر، التي تركها سنة (١٣٣٨هـ‍ـق) عائداً إلى فلسطين التي كانت ترزح تحت الاحتلال الانجليزي آنذاك. فاستمر السيد فيها بالجهاد، حتى توسط له ابن خاله السيد محمد الصدر عند الفرنسيين، إذ كانوا يحترمونه لكونه مطارداً من قبل الإنجليز، فعاد بعدها إلى وطنه. وفي ظل تلك الأجواء والظروف، وعندما كان السيد في أوج شهرته، قصد في سنة (١٣٥٠ هـ‍ـق) زيارة حضرة الإمام الرضا(ع) فسافر إلى إيران، ثم زار قم فكان محل تكريم المرحوم آية الله الحائري رئيس الحوزة العلمية ومورد ترحيب العلماء والفضلاء والطلاب. وأوكل آية الله النجفي المرعشي إليه إمامة صلاة الجماعة في صحن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، حيث استمر في إقامة صلاة الجماعة طيلة فترة إقامته في قم.

وكان الحاج روح الله الخميني رحمه الله، آنذاك في سن الثلاثين، ويعد من الشخصيات البارزة في الحوزة العلمية، فكان يزوره ويشارك في صلاة الجماعة، فوقع بشدة تحت تأثير شخصية هذا المجاهد العظيم. وعندما وصل خبر وفاة هذا العالم والمجاهد العظيم إلى قم في سنة (١٩٥٧م)، مدح الإمام الخميني رحمه الله شخصيته العلمية والجهادية، وأبّنهُ بكلمات بعد درس خارج

الأصول والذي كنت حاضراً فيه آنذاك، لكن هذه الكلمات لم تدون للأسف حتى ننقلها هنا بعينها.

آية الله الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هو أحد العلماء المجاهدين والمدافعين عن الدين الإسلامي المبين وعن مذهب التشيع، ويعتبر أيضاً من الفقهاء المعروفين في النجف الأشرف، له مؤلفات قيمة كثيرة. وقد اشترك آية الله كاشف الغطاء في الكثير من المؤتمرات الداعية لوحدة المسلمين، أو للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، وكان من أبرز الشخصيات المدعوة إلى هذه المؤتمرات التي كانت تعقد في مصر وفلسطين وسوريا والأردن، ومن أبرز المتحدثين فيها. كما اشتهرت بياناته ومقالاته وكتبه في الدفاع عن الإسلام والتشيع وإحقاق حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم والجهاد ضد التسلط المسيحي.

ومن بين مواقفه الشجاعة التي حصلت أثناء وجودي في النجف الأشرف للدراسة، أن هيئة أمريكية دعته مع مجموعة من العلماء المسلمين والمسيح للحضور في مدينة (بحمدون) في لبنان لمناقشة كيفية الحيلولة دون تزايد المد الشيوعي في

المنطقة. فرفض المرحوم كاشف الغطاء حضور هذا المؤتمر، وألف كتاباً للرد على دعوة الأمريكيين تحت عنوان (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) كتب فيه، (أننا نرى تزايد المد الشيوعي في أعينكم حتى في النجف الأشرف، والآن تريدون التصدي له بالمؤتمرات والسينما؟!) فكان لهذا الكتاب انتشار واسع جداً في العالم الإسلامي، حيث بيّن لهم الفكر العظيم الذي يحمله هذا العلامة، الذي كانوا يعرفونه سابقاً من مواقفه الجهادية والعلمية ومؤلفاته القيمة.

ومن كتب الشيخ الأخرى كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الذي طبع لأكثر من ثلاثين طبعة، واشتهر في مختلف بلاد العالم. فقد كان المرحوم كاشف الغطاء كاتباً ومؤلفاً فذاً ذا منطق قوي، وشاعراً قديراً، يتمتع بمعلومات واسعة عن مختلف قضايا العالم خاصة ما يتعلق بالإسلام والتشيع، وزار إيران عدة مرات، كان أولها في زمان آية الله الحائري، حيث كان فيها مورد تجليل وتكريم من كافة المراجع وفضلاء الحوزة وعامة أهالي قم.

يقول المرحوم الرازي: (سماحة آية الله في الورى، الحاج الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، من المراجع المعاصرين في النجف الأشرف وأحد العلماء الأعلام البارزين في علم الكلام

والمناظرة، ومن المؤلفين الأفذاذ ممن له تصانيف وكتب كثيرة جداً.

زار قم في سنة (١٣٥٠هـ.ق)، وأقام في منزل آية الله الحائري، فكان موضع احترام وتجليل كبيرين، وألقى محاضرات قيمة في الصحن المقدس، ثم عاد بعد فترة إلى النجف الأشرف، وهو على قيد الحياة حتى الآن؛ أي في سنة (١٣٧٣هـ.ق)، وهو يهتم بالتدريس والتأليف والتصدي للمرجعية في النجف).

وفي كتاب (گنجينة دانشمندان) الصفحة ٢٥١، يقول المؤلف نقلاً عن (العلماء المعاصرين) الصفحة ١٩٦: (بعد عودته من إيران، سافر إلى البيت المقدس بناءاً على دعوة وجهتها له فرق أهل السنة الأربعة لمناقشة اتحاد المذاهب الإسلامية، وقد أقام صلاة الجماعة في المسجد الأقصى حيث اقتدى به المسلمون من جميع الفرق الإسلامية الجعفرية والحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، والقى في يوم الاثنين الرابع من شعبان سنة (١٣٥٠)، خطبة تاريخية في القدس الشريف.. وقد ذكروا تاريخ وفاته خطأ سنة (١٣٨٢) والأصح سنة (١٣٧٣هـ.ق).

إنّ زيارة هذه الشخصية العلمية والجهادية البارزة إلى قم، والتي صادفت في السنة التي زارها السيد آية الله شرف الدين، كان لها

تأثيرٌ كبيرٌ في شخصية الحاج روح الله الخميني رحمه الله خاصة بعد لقائه هذه الشخصية العظيمة واستفادته من كلامه وخطبه المهمة.

آية الله الكاشاني:

هو المرحوم آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني، الفقيه والمجاهد البارز، كان من الشخصيات التي أثرت كثيراً في الإمام الخميني رحمه الله. شارك آية الله الكاشاني في سن الخامسة والعشرين مع والده آية الله السيد مصطفى الكاشاني في الجهاد ضد الإنجليز، حيث كان والده قائد الثورة في العراق ضد المستعمرين، ومنذ ذلك الحين أصبح المرحوم أحد العلماء والشخصيات الجهادية البارزة في العراق. وبعد فشل الثورة واحتلال العراق من قبل الإنجليز، سعى المستعمرون إلى إلقاء القبض عليه لإعدامه بعيد ذلك، مما اضطره للهروب والدخول إلى قم سراً، فحظي باستقبال العلماء وطلاب الحوزة العلمية، وبعد فترة غادر قم إلى طهران للإقامة فيها. وبعد احتلال إيران من قبل قوات الحلفاء المتفقين بعد الحرب العالمية الثانية، تم إلقاء القبض على آية الله الكاشاني بتهمة التعاون مع الألمان ضد الحلفاء، وبقي في السجن مدة ٢٨ شهراً قضاها في سجن اراك وكرمانشاه ورشت، وألقي القبض عليه مرة أخرى سنة (١٩٤٥م)، نفي على إثرها مدة ٢٢ شهراً إلى بهجت آباد في قزوين، ثم ألقي

القبض عليه أيضاً في سنة (١٩٤٨م) نفي في البداية إلى قلعة فلك الأفلاك في خرم آباد، ثم نفي بعد عدة أيام إلى لبنان.

كان آية الله الكاشاني في المنفى عندما قتل هجير ـ وزير بلاط محمد رضا البهلوي ـ بواسطة منظمة فدائي الإسلام، حيث انتخب بعدها ممثلاً عن طهران في مجلس الشورى الوطني، فعاد إلى الوطن بعد ١٦ شهراً من النفي، فجرى له استقبال منقطع النظير، وقد شارك كاتب هذه المقالة فيه. وكان لبيانات آية الله الكاشاني وخطبه ومواقفه الإيجابية، دورٌ كبيرٌ في تأميم الصناعة النفطية الإيرانية، وإنهاء سيطرة الشركات الإنجليزية الغاصبة؛ بل لولا وجوده ووجود منظمة فدائي الإسلام لما تم تأميم النفط الإيراني، وإنهاء سيطرة الإنجليز عليه. لكن للأسف الشديد، ورغم كل هذه المواقف الجهادية ضد الاستعمار التي قام بها هذا العالم الجليل، تمكن المستعمرون وعملائهم من الإيقاع بينه وبين الدكتور مصدق رئيس الحكومة والجبهة الوطنية، فعمدوا في الصحف إلى تشويه سمعة هذا القائد والعالم الكبير، وبالتالي تمكنوا من الانتقام منه. لقد التقى الإمام الخميني ﵀ المجتهد المناضل ضد الاستعمار والمجاهد الثوري الشاب، منذ بداية وصوله إلى قم بآية الله الكاشاني وكان يذهب للقائه في طهران أيضاً فتعرّف عليه من قرب، حتى أن آية الله الكاشاني حضر

مراسم عقد الإمام الخميني رحمه الله في طهران، وبعد كلامه مع والد زوجة الإمام المرحوم آية الله الميرزا محمد الثقفي، يقول له:

(أين وجدت هذه الأعجوبة!). ونظراً لكون منزل آية الله الثقفي يقع في منطقة بامنار في طهران قريباً من منزل آية الله الكاشاني، كان الإمام رحمه الله يزوره كلما جاء إلى طهران، فتعمقت العلاقة بينهما وتبادلا الزيارات بينهما.

وفي سنة (١٩٦١م) عندما كان الإمام الخميني رحمه الله فقيهاً معروفاً ومن المدرسين الأكفاء في حوزة قم، كتب إلى آية الله الكاشاني رسالة يسأل فيها عن صحته بعد مرضه وإصابته بوعكة صحية، هذا مضمونها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أود أن أبلغ حضرتكم؛ إني أسأل الله دائماً أن يمن عليكم بالسلامة، ويرفع عنكم هذه الوعكة الصحية، ألتمس دعاء وجودكم المحترم، وإني استفسر عن صحتكم من الأشخاص الذين يزورونا. وأنا أيضاً منذ عودتي من طهران، تعرضت لحمى مالطا وغيرها عدة مرات، ومازلت أشعر بوعكة صحية، فالتمس دعاءكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روح الله الموسوي

عُرف المرحوم آية الله الكاشاني بصراحته وطبعه المرح، حتى أنه كان أحياناً يسخر من المسؤولين في الحكومة؛ بل كان يتكلم بهذه الصراحة مع مؤيديه أيضاً ويخاطبهم بالجهلة. وفي إحدى خطبه سنة (١٩٨٠م) في حسينية جماران،

قال الإمام الخميني رحمه الله: (... لقد قاموا بقضية كشف الحجاب بكل تلك الفظاعة والشناعة. الله وحده يعلم الجريمة التي ارتكبوها في كشف الحجاب، حتى أنهم كانوا يطلبون من بعض العلماء العظام إقامة المجالس واصطحاب نسائهم معهم، لأن ذلك حسب قولهم: أمر. ونقلوا أن أحدهم ذهب إلى المرحوم الكاشاني فقال له: لقد قالوا أن عليكم الاشتراك في ذلك المجلس المختلط، فأجابه المرحوم الكاشاني بشتم من قال ذلك! فقال ذلك الشخص. إن الأمر من المقامات العليا، فرد عليه: وأنا أشتم هذه المقامات العليا). وفي سنة (١٩٨٠م) أيضاً، أشاد الإمام الخميني عليه السلام بآية الله الكاشاني ضمن كلامه الذي ألقاه في حسينية جماران، فقال:

(نقل لي المرحوم روح الله خرم آبادي(١)، أنه قال: عندما تم نفي المرحوم الكاشاني (قدس سره) إلى خرم آباد، وسجن في قلعة فلك الأفلاك، رجوت قائد الجيش (قائد فيلق خرم آباد) أن يسمح لي برؤية المرحوم الكاشاني، فوافق على ذلك واصطحبني لرؤيته، فكنا ثلاثة قائد الجيش وأنا والمرحوم الكاشاني. فبدأ هذا القائد بالحديث، ووجه كلامه إلى المرحوم الكاشاني، فقال له ما يقارب هذا المعنى: لماذا يا شيخ أوقعت أنفسك بهذا المأزق؟ لماذا تتدخل في السياسة؟ السياسة لا تليق بكم، فلماذا تتدخلون فيها؟ وهكذا تكلم بما يشبه هذا الكلام، فأجابه المرحوم الكاشاني: أنت حمار جداً! وأنتم لا تتصورون أن هذه الجملة كانت تعادل القتل في تلك الفترة؛ أي إذا لم أتدخل في السياسة، فمن يتدخل فيها؟ وسأذكر لكم قصة أخرى أيضاً: عندما كنا في السجن، حضر رئيس جهاز الأمن آنذاك ـ اللواء باكروان المدير العام لجهاز السافاك الذي أعدم بقرار من محكمة الثورة ـ فأخذونا إليه، فتحدث إلينا بكلام، من ضمنه:

---

١ الصديق الحميم للإمام في قم، الذي كان يدرس الفلسفة في قم، بموازاة درس الإمام في الفلسفة، ثم انتقل بعدها إلى مدينته خرم آباد وأدار فيها حوزة علمية، وكان يطلق عليه في حوزة قم (الحاج روح الله).

السياسة هي الكذب، وهي الخديعة، والاحتيال، واللعنة على الوالدين، فاتركوها لنا، فأجبته: هذه السياسة لكم! فلاحظوا كيف كان الإمام يأنس بالمرحوم آية الله الكاشاني، بحيث يتذكر هذه الحادثة الطريفة، وينقلها بشكل آخر.

لقد تأذى الإمام وحزن كثيراً على ما آلت إليه أوضاع آية الله الكاشاني، بعد كل هذا الجهاد والمصائب التي تعرض إليها. وقد كنا في حوزة قم نلاحظ تأثير ذلك عليه بوضوح.

وفي سنة (١٩٨٣م)، وضمن كلامه حول دور العلماء في قيام الحركة الدستورية، والذي ألقاه أمام أعضاء المؤسسات المرتبطة بمكتب رئيس الوزراء في حسينية جماران؛ تحدث الإمام عن الدور الكبير لآية الله الشيخ فضل الله النوري، وما آلت إليه أوضاعه فيما بعد، فقال:

(اليوم، اغتنم هذه الفرصة لأتحدث للسادة عن موضوع، يهم الجميع، المسؤولين في الحكومة وعموم الشعب أيضاً).

(وأريد الآن أن أتحدث عن موضوع استفدناه من التجارب التي نقلت إلينا، أو تلك التي شاهدناها بأنفسنا، فما حدث في فترة الحركة الدستورية والتي يعلم بأحداثها الجميع، كان البعض

يرفض حكومة الإسلام في البلاد، ويسعى إلى جر البلاد نحو المعسكر الأوروبي.

فكانوا يثيرون الفوضى والإشاعات، بحيث تمكنوا من إعدام شخصية بارزة مثل المرحوم الشيخ فضل الله النوري وضربوه على قدميه أمام الملأ. فكانت هذه إحدى مؤامراتهم لعزل الإسلام، وتمكنوا من تنفيذ مبتغاهم بحيث أفشلوا الحركة الدستورية (كما أراد علماء النجف)، حتى أنهم قاموا بتحريف قضية المرحوم الشيخ فضل الله، وأثاروا الناس ضده في إيران وبقية البلدان، مما أدى إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري شنقاً بيد بعض رجال الدين الذين وقفوا حوله يصفقون، فاستطاعوا في تلك اللحظة من هزيمة الإسلام، والناس في غفلة من أمرهم، حتى العلماء ممن كانوا موجودين في تلك الحادثة، كانوا في غفلة من أمرهم)(١).

وبعد ذلك، تحدث الإمام عما آل إليه مصير آية الله الكاشاني بعد كل هذا الجهاد الطويل، فقال: (لقد التقيت عن قرب بالسيد الكاشاني في تلك الفترة، وعرفته رجل دين مجاهد منذ كان شاباً في النجف، حيث كان يجاهد في ذلك الوقت ضد الاستعمار

---

١ الشيخ إبراهيم الزنجاني والمسؤول عن الشكاوى في دار العدالة، والمؤرخ المعروف.

الإنجليزي، وعندما قدم إلى إيران قضى معظم حياته على هذا الطريق أيضاً. وقد عرفته عن قرب، حيث كان وضعه مهماً جداً بحيث إذا ما أراد الذهاب إلى مكان معين، افترضوا أراد الذهاب إلى مسجد الشاه مثلاً؛ كان المسجد يعلن عن قدومه.

كان هذا وضعه في البداية، فأدرك الأعداء أن وجود رجل دين بارز في الساحة سيؤدي حتماً إلى حكومة الإسلام، وهذا ما حصل فعلاً. لذلك بدؤا بإثارة الأجواء والمشاعر ضده، إلى درجة أنهم ألبسوا كلباً نظارات أطلقوا عليه أسم آية الله وأخذوا يدورون به في أطراف المجلس.

كنت موجوداً آنذاك عندما دخل المرحوم الكاشاني إلى مجلس عزاء، فلم ينهض له أحد، إلاّ أنا وأحد علماء طهران الموجودين حتى الآن(١)، ففسحت له مكاناً للجلوس).

فتعاملوا مع المرحوم الكاشاني بهذا الشكل حتى أجبروه على عدم الخروج من منزله، وبالتالي تمكنوا من هزيمة الإسلام بهذا العمل.

---

١ الظاهر أن المرحوم السيد محمد صادق اللواساني كان صديقاً قديماً للإمام.

ولهذا حذر الإمام من مؤامرات الاستعمار وعملائه ضد الجمهورية الإسلامية التي بدأت منذ ذلك الوقت أي منذ سنة (١٩٨٣م)، فأوصى بضرورة أن يتعظ المسؤولون والشعب ويحذروا الآخرين جيداً من هذه المؤامرات حيث قال:

أريد الآن أن أحذر السادة المسؤولين، مما يجري حولهم هذه الأيام من إثارة الأعداء للفوضى، وسعيهم تدريجياً لتنفيذ مؤامراتهم التي تهدف إلى إبعاد الناس عن الإسلام.. وإذا ما نجحوا هذه المرة في السيطرة على الأوضاع فلن يبقوا لنا شيئاً أبداً، فقد أدركوا أن تقدم الجمهورية الإسلامية سيضر بمصالحهم ويمنعهم من تحقيق مآربهم. واعلموا أن الإسلام إذا ما تعرض الآن إلى صفعة قوية، فلن يتمكن بعدها من العودة إلى السلطة أبداً..).

الحركات الثورية للعلماء الآخرين:

إضافة إلى ما ذكرناه، فإن الإمام قد شاهد كيف حاكموا آية الله الميرزا محمد آقازاده، الابن الأكبر لآية الله الآخوند الخراساني في طهران بعد أحداث مسجد (گوهرشاد)، وكيف خلعوا منه لباسه الديني، حتى سقط من الأنظار بحيث كان يجلس في زاوية الشارع دون أن يهتم لأمره أحد.

كما شاهد الإمام ما جرى لآية الله الميرزا صادق آقا التبريزي وآية الله السيد أبو الحسن الأبطحي من علماء آذربايجان، وكيف تم نفيهم أولاً إلى كردستان ثم إلى قم، بسبب مقاومتهم ورفضهم للضغوط التي كان يمارسها رضاخان. حيث بقي بعدها آية الله الميرزا صادق آقا في قم، حتى توفي فيها. وقد ألتقى الإمام بهذين العالمين في قم أثناء مدة نفيهم، وتحدث معهم عن قرب حول أسباب حركتهم ونفيهم إلى قم.

وضمن كلامه الذي ألقاه في النجف الأشرف سنة (١٩٧٧م)، والذي نقلنا قسماً منه سابقاً، تحدث الإمام عن الحركات الثورية التي قام بها العلماء الآخرون، فقال:

(النهضة الأخرى، هي نهضة علماء خراسان وحادثة مسجد گوهرشاد، حيث ألقوا القبض على المرحوم آقازاده والمرحوم آقاسيد يونس الأردبيلي وسائر العلماء الآخرين في تلك الفترة. وسجنوهم في سجن طهران، وقد شاهدت بنفسي المرحوم الميرزا أحمد آقازاده (قدس سره) جالساً بدون عمامة، رغم أنه كان تحت المراقبة ولا يحق لأحد التقرب منه، حتى أنهم كانوا ينقلونه بدون عمامة في الشارع عند إرساله إلى المحكمة لمحاكمته. ولم يكن في ذلك الوقت وجود للأحزاب حتى يقوموا بمثل هذه

الاعتراضات، فقد حدثت جميع الثورات التي قام بها العلماء بدون وجود الأحزاب، وحتى البعض القليل منها كان عديم التأثير. النهضة الأخرى حدثت في آذربايجان، حيث انتفض المرحوم الميرزا صادق آقا والمرحوم أنگجي، فالقي القبض عليهما، وبعدها لم يتمكن المرحوم الميرزا العودة بحرية إلى آذربايجان، رغم الاحترام والتقدير الذي كان يكنه له أهل آذربايجان، فبقي في قم حتى آخر لحظات حياته، وقد تمكنت من زيارته فيها). كما شاهد الإمام أستاذه الكبير آية الله الحائري ـ مؤسس الحوزة العلمية في قم ـ ورغم سلوكه المحتاط في التعامل مع رضاخان، إلا أنه قد اضطر بسبب إصرار الكثير من علماء الحوزة أن يرسل برقية إلى رضاخان بأن يستثنيه عن قرار توحيد الزي، وشاهد كيف أن هذا الطاغية الذي كان سابقاً يظهر التذلل والخضوع لآية الله الحائري ويتظاهر بتقليده، يرد بجفاء وتكبر على هذه البرقية، ويلقي القبض على الحاج الميرزا (خليل كمره اى) ـ أحد رفقاء الدراسة مع الإمام ـ لكونه نقل إليه البرقية، وسجنوه في طهران. نعم، إنّ الإمام كان يتذكر كيف كان يخرج مع رفقائه في الدراسة إلى البساتين خارج قم للدرس والمباحثة فيها، لتجنب التعرض لأذى الشرطة ورجال الأمن. ورأى الإمام الكثير الكثير من هذا القبيل..وهذا الشعر الرباعي للإمام، يصور تلك المرحلة المظلمة والسوداء من تاريخ حياته!

از جور رضاشاه كجا داد كنيم

زين ديو، بركه ناله بنياد كنيم

آن دم كه نفس بود، ره ناله ببست

اكنون نفسي نيست كه فرياد كنيم ١.

الهدف من المقالة:

إنّ الكاتب كان يهدف من كتابته، هذه المقالة بهذا التفصيل، أن تكون أساساً يستفيد منها الباحثون والمحققون حول تكوين وتركيب شخصية الإمام الخميني الثورية(٢).

لقد شاهد الإمام منذ مرحلة شبابه وسنين حياته الأولى، جميع هذه الأحداث المؤلمة، وكان يحللها بدقة كأنه كان يعد نفسه لاغتنام الفرصة المناسبة حتى يثأر لجميع العلماء والمراجع

---

١ المعنى: أين نصرخ من جور رضاشاه حتى ننفس عن آلمنا من هذا الطاغية، فقد حرمنا حتى من النفس الذي كان يخفف عنا شدة الألم والعذاب. (المترجم).

٢ وقد ذكر ولدي محمد حسين الرجبي (الدواني) إجمالاً عن هذا الموضوع وبحثه باختصار في كتابه (زندگينامه سياسى امام خمينى قدس سره).

الذين تعرضوا لكل هذه الآلام والمصائب من قبل عائلة البهلوي وعملائهم، ويلقن أسيادهم درساً لن ينسوه أبداً، حتى يظل منهجاً يسير عليه كافة الثوريين في العالم.

ومن اللطيف أن الكاتب يتذكر جيداً، بداية قدومه إلى قم، أي في سنوات تأميم الصناعة النفطية، حيث كانت جميع أنظار العالم تتجه نحو إيران، ونحو الشخصية الدينية البارزة لآية الله الكاشاني، وجهاده الشديد ضد الاستعمار. لكن الإمام كان يحضر يومياً قبل الغروب بقليل، إلى مقبرة آية الله الشهيد الحاج الشيخ فضل الله النوري ـ الواقعة في الصحن الكبير للسيدة المعصومة عليها السلام ـ ويجتمع فيها مع بعض رفاقه لمدة ربع ساعة تقريباً، يتحدثون فيها عن الأوضاع والحوادث اليومية، ثم يؤدون صلاتهم هناك، وبعد ساعة يتفرقون جميعاً. ولم ير أحد الإمام يجلس أو يصلي في مكان آخر غير مرقد الحاج الشيخ فضل الله، فإذا لم يكن هذا الأمر صدفة، فيمكن أن يدل بوضوح أن قائد المستقبل للثورة الإسلامية كان يتذكر دائماً قادة النهضات الدينية والعلمائية، بحيث أصبح فيما بعد خلفاً صالحاً ولائقاً لهم، وتمكن بثورته الإسلامية بأخذ الثأر لهم من الاستعمار وعملائه. وإذا ما دقق القراء في خطب الإمام ولقاءاته الشفوية وبياناته السياسية وقراراته الحكومية سواء في الداخل أو الخارج، للاحظوا جيداً أن

الإمام قد أشار إلى جميع المصائب والويلات التي تعرض لها العلماء الذين سبقوه في النهضة ضد الظلم والطغاة، ولم يهمل حتى الصغيرة منها. وبهذا الشكل، تمثل هذه الخلاصة الهدف الذي كان يبتغيه الكاتب من هذه المقالة، على أمل أن تنال رضا القراء.

يقول الإمام: «لقد وضعت دمى وروحي الرخيصة على الأكف في انتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق وأداء فريضة الذود عن حياض المسلمين. ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأن الخميني سيواصل طريق الجهاد ضد الكفر والظلم والشرك وعبادة الأصنام حتى لو ظل وحيداً، وسيسلب بعون الله تعالى وبمؤازرة متطوعي العالم الإسلامي والحفاة الرازحين تحت نير الغصب الدكتاتوري، النوم من أجفان السلطويين والعملاء الذين يتمادون في ممارسة الظلم والاضطهاد»(١).

---

١ بيان الحج للإمام الخميني قدس سره عام: ١٤٠٧ هـ.

حوار حول الحكومة الإسلامية والإمام قدس سره

مع حجة الإسلام والمسلمين عميد زنجاني(١)

* برأيكم ما هي النسبة بين العقل والحكومة الإسلامية، وهل يوجد فارق بين مكانة العقل في الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية؟

ـ في البداية لابد من الإشارة إلى هذه النقطة المهمة وهي: ما المراد من العقل، هل هو العقل العملي أم العقل النظري؟ وما هي الآثار التي يتركها كل منهما؟

إنّ العقلانية في المفهوم النظري تتلخص في قسمين: أحدهما في مجال الرؤية نَحْوَ العَالَم والآخر في مجال العلوم. فالعقل النظري يمكن أن يتضمن معاييراً ورؤى مختلفة؛ إذ أن تطبيق العقل النظري شيء، أما منهج تطبيقه فيتحدد حسب المنطق الفكري السائد في المجتمع. فإذا ما استفدنا من منطق البرهان

---

١ المرحوم الشيخ عباسعلي عميد الزنجاني كان أستاذاً في الحوزة العلمية وجامعة طهران.

والقياس المنطقي فإن العقل النظري سيقودنا حسب فلسفته الخاصة (الميتافيزيقيا) ويوصلنا إلى الرؤية الخاصة بالعالم؛

أما إذا كان العقل النظري يستفيد من التجربة أو منطق التجربة أو المنطق التجريبي، فإنه سيؤدي بنا إلى التطور والتقدم العلمي. والظاهر أن هذه العقلانية موجودة في الحكومة بكلا مفهوميها الغربي والإسلامي، مع فارق أن الغرب لا يهتم عملياً كثيراً بالمفهوم الأول (العقل النظري الذي يستفيد من منطق البرهان والقياس المنطقي، للوصول إلى الرؤية نَحْوَ العَالَم) بل يهتم أكثر بالعقل النظري بالمفهوم الثاني (التجربي ومنطقه التجربي)، لذا كانت معظم التطورات والاكتشافات التي ظهرت في العالم الغربي تختص بالجانب العلمي أكثر منها في الجانب الفلسفي بمفهومها الميتافيزقي، رغم وجود فلاسفة كبار فيه، أما الإسلام فإنه يؤيد كلا المنطقين الخاصين بالعقلانية المرتبطة بالحكومة، حيث يؤيد القرآن الكريم العقل المجرد(الإدراك المجرد) وكذلك العقل الحسي (التجربة الحسية). إذن، لا يوجد فارق كبير في العقلانية بمعناها النظري سوى أن الإسلام يهتم أكثر بالرؤية نَحْوَ العَالَم، في حين يهتم الغرب بمفهومها التجربي. والآن نتساءل، هل يمكننا من خلال الرؤية الخاصة بالعالم أن نحصل على نتائج عملية، أم لا؟ وهذا ما سنشير إليه في القسم التالي.

أما بالنسبة للعقل العملي، فيوجد فارق كبير بين ما يؤمن به الغرب من فكر ومنهج ومنطق عملي، وبين الفكر والمنهج والمنطق الإسلامي؛ لأن العقل العملي يمثل نفس المصلحة المتضمنة فيه، والتي توجد حولها نظريات مختلفة سواء في مفهومها الفردي أو الجمعي، مما يؤدي إلى ظهور الاختلاف بين المنطق الغربي والمنطق الإسلامي.

فالإسلام لا يفصل في المصلحة بين الأمور الدنيوية والأمور الأخروية، ويرى في الماهية السعادة التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالفناء والموت، وبالتالي تقع المصلحة التي يعتقد بها للفرد والمجتمع ضمن هذا الإطار؛ في حين تكون العقلانية بمفهومها العملي الغربي، هي المصلحة الدنيوية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت. وقد أدى الفصل بين المصلحة الدنيوية والمصلحة الأخروية في الفكر الغربي إلى ظهور معنى آخر لأصل المصلحة الدنيوية؛ أي أن هذا التشابه لا يصل إلى المقدار الذي يمكننا من القول أن المصلحة الدنيوية في الإسلام تماثل المصلحة الدنيوية عند الغرب؛ لأن ماهية المصلحة الدنيوية ستختلف تماماً في الحياة بعد الموت؛ أي أن المصلحة الدنيوية في الإسلام تمتزج بالمصلحة الأخروية، وبالتالي فإنها تختلف تماماً عن المصلحة الدنيوية في الرؤية الغربية.

المسألة الأخرى ترتبط بالعلاقة بين العقل النظري والعقل العملي، وهو بحث فلسفي لا يختص بالإسلام فقط؛ فهل يمكن أن نصل إلى العقل النظري من خلال العقل العملي؟ إذا كان المقصود من الوصول وإيجاد علاقة العلية والمعلولية بين العقل النظري والعملي، هو استخراج مسألة ترتبط بالقيم والمصلحة عند إثباتنا لكل مسألة في العقل النظري؛ فالجواب على ذلك يكون سلبياً؛ لأننا لا نستطيع استنباط القيم من كثير من الضروريات، لكن إذا نظرنا إلى هذه القضية بصورة عامة، فنجدها دقيقاً بهذا الشكل؛ لأننا عندما أثبتنا في مجال العقل النظري سلسلة من الضروريات والأمور الواقعية كسلسلة؛ الله (المبدأ) والمعاد والوحي؛ فإننا سنفهم تلقائياً منهج العقل العملي أيضاً ويتضح أن منهج الحياة هو الشريعة. إذن، الجواب يكون إيجابياً على القضية بنحوها العام، لكن يختلف الفلاسفة الغربيون وكذلك الإسلاميون في جزئياتها، وإذا ما أردنا أن نطرح العقلانية كعنصر مشترك بين الحكومة بمفهومها الغربي والحكومة بمفهومها الإسلامي؛ فإننا سنضطر حتماً إلى بحث هذه الجزئيات ومناقشتها.

*** عند التعارض بين المصالح الدنيوية والأخروية، يرجح الغرب بالطبع المصالح الدنيوية، لكن بالنسبة لنا ما هي وظيفتنا في مثل هذه الموارد؟**

ـ يمكن مناقشة هذا الأصل الذي بنيتم عليه سؤالكم؛ لوجود بعض المصالح التي تكون دنيوية فقط، والبعض الآخر يكون أخروياً فقط.

* بنحو الموجبة الجزئية

ـ يوجد ترديد في كونها موجبة جزئية. فإذا ما اعتبرتم أن الدنيا تمثل بداية الخلود، وأن الخلود بعد الموت يمثل نهاية الدنيا؛ فستكون العلاقة بين الدنيا والآخرة كالعلاقة بين الجسم والروح أو كالعلاقة بين الظاهر والباطن، وبالتالي لا تصدق عليها الموجبة الجزئية. وتطرح هذه المسألة أيضاً في الطب أيضاً؛ إذ لا يمكن أن نجد مرضاً يصيب الجسم فقط ولا يؤثر على الحالة النفسية والروحية؛ كما لا يمكن أن نجد مرضاً نفسياً دون أن يترك آثاراً على الجسم أيضاً.

وبالطبع فإن كثيراً من الأطباء يؤيدون هذه المسألة، كما يعترض عليها أطباء آخرون؛ أي أن العلاقة بين الروح والبدن أصبحت متلازمة وعضوية إلى درجة لا يمكن فيها تصور تأثير أو تأثر أحدهما دون الآخر، فالأمراض النفسية والروحية تترك آثاراً جسمية، وكذلك الأمراض الجسمية تترك آثاراً روحية ونفسية.

وبالطبع فإني تطرقت إلى هذه المسألة كمثال فقط، وتعتمد صحتها على رأي أهل الاختصاص فيها.

* بالطبع إذا ما نظرنا إلى القضية بنوع من المسامحة العرفية.

ـ لا يمكن الاستفادة من المسامحة العرفية في هذا الموضوع، فالطبيب لا يمكنه اللجوء إلى المسامحة العرفية في علاجه؛ لأن المريض نفسياً، يصاب ببعض الأضرار الجسمية، والمريض بدنياً، يصاب ببعض الأضرار النفسية أيضاً.

إذن نستنتج أن الشريعة تنظر إلى الدنيا والآخرة معاً؛ وبالتالي لن نجد في الإسلام شيئاً ذا مصلحة دنيوية فقط دون أن يكون له دور في الآخرة، أو نجد شيئاً ذا مصلحة أخروية دون أن يكون له تأثير في الدنيا؛ رغم أننا يمكن أن نجد مثل ذلك في الشرائع السابقة. ومن أهم المسائل الأخروية في الإسلام التي تمتلك في ظاهرها على الأقل، صبغة دنيوية، هي العبادات؛ والرواية المعروفة التي تنقل عن النبي ﷺ أن أخي موسى ينظر إلى الأمور بعين واحدة وأخي عيسى ينظر إليها بعين واحدة، في حين أني أنظر إليها بعينين؛ تدل على التلازم بين الدنيا والآخرة، وعدم إمكان تصور إحداهما دون الأخرى. وإذا ما نظرنا إلى هذا

الموضوع بهذا الشكل، حينئذ لن يحصل التعارض حتى نبحث عن حلول لمعالجته، ثم نكتشف أن تشترك مع الغرب أم لا.

*** نظرا لاختصاص هذا المؤتمر بشخصية الإمام قدس سره، فهل أن نظريته حول الحكومة هي مجرد نظرية فقهية، أم أنها تستند إلى الأصول الفلسفية التي يعتقد بها. وهل يمكن استنباط فلسفة سياسية ـ إسلامية من أفكار ونظريات الإمام؟**

ـ إن عمل الإمام ونظرياته في الفقه، والفكر السياسي والفلسفة، نتج عنه فلسفة سياسية؛ أي في الحقيقة، أن وجود البعدين الأساسيين في فكر الإمام بكونه أستاذاً بارزاً في الفلسفة وأستاذاً كبيراً، صاحب رأي في الفقه، قد أدى إلى ظهور هذه النتائج الواضحة. وقد عبرتم عن ذلك بالحكومة الإسلامية، لكنها في الحقيقة تتضمن بعدين أحدهما في الفلسفة السياسية والآخر فكراً سياسياً؛ ونحن نعتقد أن الفقه السياسي يمثل مجموعة من الفلسفة السياسية والفكر السياسي.

فالفقه السياسي هو الذي يتعامل مع المنهج العقلاني؛ أي أن الفلسفة السياسية تتعامل مع كل ما لا نص فيه، في حين يتعامل الفكر السياسي مع كل ما يستند إلى الكتاب والسنة، وبالتالي يكون مجال الفكر السياسي معتمداً بنحو ما على الفلسفة السياسية.

والأصل هو إمكانية الاستفادة من الوحي كأساس للفلسفة السياسية وليس أساساً للفكر السياسي لاحتمال وقوع الاختلاف فيه. على كال حال، نتج عن معرفة الإمام ببعديها (الفلسفي والفقهي) عنصران منفصلان: أحدهما الفلسفة السياسية التي تستمد أصولها من رؤيته نحو العَالَم، وهو الأصل الذي استندت عليه فلسفة الفلاسفة السابقين مثل الفارابي وأبي علي بن سينا والخواجة نصير الدين؛ إذ توصلوا إلى فلسفة وسياسة حديثة عن طريق بحثهم في الرؤية نحو العالم. والآخر هو الفكر السياسي عندما طرح الإمام في الفقه مسألة ولاية الفقيه؛

وعليه كان عمل الإمام وفكره، يظهر في صورتين مستندتين إلى أصلين ومنشأين مختلفين؛ والآن نسأل أيهما أكثر تأثير في تكوين النظام وتأسيسه؟

فإذا كنتم تقصدون بالحكومة، المفهوم العام والهيكلي للقضية؛ أي ما هو واقع وموجود فعلاً؛ فإن المؤثر في هذه الحالة حتماً هو الفكر السياسي والفقه السياسي.

البعد الآخر الذي لم تتطرقوا إليه في سؤالكم هو البعد العرفاني، حيث كان الإمام يستفيد من العرفان في المجال الفقهي؛ أي في البعد الفلسفي استفاد من رؤيته نحو العالَم للوصول إلى

نظرية تحتم أن تستند فيها الحكومة إلى الوحي؛ أما في الشريعة فتنقل الحكومة بعد الوحي إلى مرحلة الإمامة ثم إلى ولاية الفقيه في زمان الغيبة، وبالتالي امتزج البعد العرفاني للإمام مع بعده الفقهي.

إني اعتقد أن الولي الفقيه الذي جاء ذكره بصورة جافة في الدستور بأنه من الناحية الفقهية هو الفقيه العادل الجامع للشرائط، وتشمل اختياراته ومسؤولياته الأحكام الأولية والأحكام الثانوية والأحكام الحكومتية؛ يتضمن أيضاً معناً جوهرياً في ذاته وهو تلك الجاذبية المعنوية للإمامة في المرحلتين؛ أي إمامة المعصوم وإمامة الفقيه العادل، لكنها بالطبع لم تسنح لها الفرصة للظهور في زمان الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف. وهذا واضح من كلام الإمام في أواخر أيام عمره الشريف، بأنه لم يجد الفرصة الكافية للحديث عن أمور كثيرة؛ وعليه ينفصل الإمام في مرحلة الفكر السياسي عن فلسفته السياسية، لكن العرفان يظهر بصورة ضعيفة في البعد الفقهي للمسألة، وهذا ما يمكن أن نلمسه بوضوح في كلام الإمام ومؤلفاته.

* ما هو تأثيرها العملي؟

ـ التأثير العملي لهذه الجاذبية المعنوية للإمام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(١). فيما يتعلق بولاية الفقيه، يقول البعض: إن المراد بها هو ولاية القصّر، لأن الإنسان العاقل لا يحتاج للولاية. لكن لو نناقش هذه المسألة في بعدها العرفاني، فإن الإنسان يحتاج دائماً إلى من يأخذ بيده إلى طريق الهداية؛ أي أن المسألة أعمق من هذا التبسيط لأنها ترتبط بإنسان ضال تائه يحتاج إلى من يرشده إلى الطريق الصحيح؛ إذ أن المسألة لا تقتصر على السياسة والاقتصاد والثقافة؛ بل تهتم أيضاً بالأبعاد المعنوية للإنسان.

إذن، لابد أن يمتلك الإمام جاذبية خاصة كالمغناطيس تجذب إليه الناس والأفئدة، ويرتبط به تلامذته والآخرون بحيث لا ينظرون إليه كمجرد أستاذ، بل يعتبرونه فيلسوفاً فقيهاً وقائداً وزعيماً يستحق الإتباع والإطاعة. فتقليدهم له ليس مجرد تقليد فقهي؛ بل هو إتباع وإطاعة للوصول إلى مراحل الارتقاء المعنوي. وقد أشار الإمام بوضوح إلى هذه النقاط في تفسيره لسورة الحمد. فالإمام يجب أن يتمتع بجاذبية معنوية، بغض النظر عن قدرته السياسية. وطرح هذه المسائل بهذا الشكل سيجيب عن

---

١ سورة لقمان، الآية: ٢٤.

كثير من المسائل السياسية الأخرى. فعندما نجد إنساناً قوياً يجذب خلفه كالمغناطيس إنساناً ضعيفاً، عندها نستطيع أن نطرح عليه ما نريد من مفاهيم كالحرية والمساواة. وهذه المسألة نجدها بوضوح في عالم التجربة بمفهومها الفيزيائي، إذ عندما يسحب المحرك أجزاء السيارة، فلا معنى حينئذ لقولنا أن المحرك فلزي وأجزاء السيارة فلزية أيضاً، فكيف يمكن لهذا المحرك أن يسحب أجزاء السيارة وليس العكس؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ بحث كثيرٌ من المفسرين في أن (أمرنا) هل هو أمر تشريعي أم تكويني؟

الأمر هو هذه الجاذبية المعنوية للإمام، وفصل المسائل السياسية عنها يؤدي إلى الكارثة؛ إذ حينها سيقال: لماذا تتولون عنا الأمور فهل أنا قاصر؟ أوليس لي عقل؟ وهل احتاج إلى ولي؟ أنا أيضاً أفهم الأمور جيداً!.

لكن إذا ما أضفنا المسائل العرفانية والجاذبية المعنوية لهذه الأمور، عندها سيدرك الجميع في وجدانهم أن الإنسان ينجذب حتماً إلى النور والعلم.

توجد بعض المسائل التي ينجذب إليها الإنسان فطرياً وبصورة حقيقية، وهي أهم من المسائل والنظريات السياسية؛ لكن

إذا ما أضفنا البعد العرفاني للإمام إلى فكره السياسي، فإن ذلك سيؤدي إلى حل الكثير من المشاكل. الإمام يقول هذا الأمر، وهو يمثل نموذجاً له ولم يفصل أبداً ذلك البعد المعنوي عن بعده السياسي؛ لكن على كل حال لم يتم تحقيق نظرية الإمام بشكل كامل. فالولي الفقيه لا يمكنه الأخذ بيد الإنسان، لكي تقولوا إنها الحرية! لا أريد أن آتي معك! أناحر! لأن الولي الفقيه عندما يعين طريق الحركة، عندئذ لا تسمح لكم الجاذبية المعنوية بالتوقف، فالجاذبية هي التي تسحبكم معها، ولا دخل للحرية في هذه المسألة.

إنّ الكثير من النظريات السياسية هي مشاكل سرت إلينا من الفكر الغربي، وتطرح في المجتمع بدون الفرضيات الموجودة عندنا، في حين أنهم لا يعتقدون بالجاذبية المعنوية عند الإمام، أو أنهم لا يشعرون بوجودها. وإذا ما طرحتم نظرية ولاية الفقيه بدون السلطة المعنوية والسلطة الإلهية، فستظهر حينها الكثير من المشاكل أيضاً؛ لكن السلطة المعنوية هي فرضية مسبقة في نظرية الإمام، وقد ذكر في (تحرير الوسيلة) أن أحد شرائط المرجع هو (أن لا يكون مكباً على الدنيا) وهو أمر يفوق العدالة. لقد كنت في فترة ما، أفكر بمدى اهتمام الإمام بنهج البلاغة، وتأملت في هذا الأمر لفترة، حتى وجدت أن كلام الإمام هو تطبيق لما جاء

في نهج البلاغة. ولحسن الحظ كان نهج البلاغة يتضمن الكثير من المسائل الحكومية؛ بل أن السيد الرضي قد جمع من الخطب والكلام ما يبحث ٨٠٪ منه في المسائل الحكومية، وقد طرحها الإمام بما يتلائم مع لغة العصر حتى تتمكن جميع طبقات المجتمع من فهمها. وعلى هذا الأساس، عندما انفصلت سيرة أمير المؤمنين عن المعنوية، عارضه الخوارج والقاسطون والمارقون ووقفوا بوجهه. ففصل الإمامة عن الجاذبية أدت إلى شهادة أمير المؤمنين، وتولي الإمام الحسن منصب الإمامة لفترة قصيرة، ثم يتنازل عن الخلافة.

* ما هي المؤلفات التي تركها الإمام فيما يتعلق بالعرفان العملي؟

ـ لعله نتمكن أن نجد أكثر الوصايا التي تطرّق لها الإمام في هذا المجال في حاشيته على فصوص الحكم وهو كتاب مطبوع أيضاً. إنّ الولاية التي يعتقد بها الشيعة أوسع من الولاية السياسية، لكنها في الإمام شيء، وفي الفقيه الجامع للشرائط شيء آخر. وفي المصادر العرفانية للإمام، علينا مراجعة البحوث العرفانية الصرفة، كما هو ظاهر بوضوح في تفسيره لسورة الحمد. كما أشار إلى ذلك أيضاً في بحوثه الفقهية في (كتاب البيع)، إضافة إلى كتاب (أسرار الصلاة) الذي يعتبر من كتب الإمام العرفانية.

*** هل يمكن في هذه الكتب البحث عن العرفان السياسي؟**

ـ لا إشكال في هذا الاصطلاح الذي عبرتم عنه بالعرفان السياسي وهو شيء جيد، لكن الظاهر عدم وجود أيّ فرق بين العرفان السياسي والعرفان غير السياسي، سوى أن مجال العرفان واسع فيشمل السياسة أيضاً. وعندما نطرح ولاية الفقيه ببعديها السياسي والعرفاني معاً، فإنه سيؤدي إلى حل الكثير من المشاكل. فالكثير من المشاكل ناشئة عن مسائل، مثل: الحرية والمشاركة السياسية والمساواة، إضافة إلى مشاكل أخرى ترتبط بولاية الفقيه، مثل: انحصار القدرة السياسية بيد النخب وغيرها من المشاكل التي تنشأ من خلال الفرضيات المسبقة والتصورات التي نحملها عن الفكر والنظريات الغربية؛ لكننا إذا ما مزجنا هذه المشاكل بالمسائل العرفانية، فإنها ستتغير تلقائياً إلى شكل آخر.

فأنتم تعلمون أن الكثير من المفكرين سعوا أخيراً إلى تطبيق مسألة ولاية الفقيه على بعض الأفكار والنظريات الغربية المرتبطة بزعامة النخب، وهذا حسب الظاهر نوع من التحريف للمسألة؛ لأنها لم تهتم بالجانب المعنوي للفقيه الجامع للشرائط؛ في حين أن الكثير من المسائل تقتضي التجزئة والتحليل بالاستناد إلى بعض الفرضيات المسلّمة.

*** أي أنكم تعتبرون العرفان أحد شروط الفقيه الجامع للشرائط؟.**

ـ نعم، هذا هو معنى (أن لا يكون مكبّاً على الدنيا). إنّ لهذه العبارة بعداً واسعاً جداً، لذلك عندما ذكرنا هذه المسألة في الدستور، لم نعنِ بالعدالة، عدالة إمام الجماعة؛ بل قصدنا عدالة خاصة تليق بقائد الثورة الإسلامية.

ولهذا أعتقدُ أن كثيراً من المسائل السياسية يمكن أن تُحَمل بوضع بعض الفرضيات الصحيحة؛ فالمجتمع إذا ما قال بالرؤية الإسلامية نحو العالَم، حينئذ يمكن أن تتحقق فيه الحكومة الإسلامية القائمة على الفكر السياسي لولاية الفقيه؛ لكن لا يمكن تحققها أو طرحها في دولة أخرى كاليابان مثلاً.

وهذا الأمر هو ما يقلقنا دائماً في هذا الموضوع، حيث يقول البعض: قد يأتي زمان يفقد الناس فيه رغبتهم في الإسلام؛ وهذا في الواقع هو تحريف للبحث والموضوع؛ لأن مجال الحكومة الإسلامية هو (لولا حضور الحاضر).

إذن، يكون البعد العرفاني أحد الفرضيات الصحيحة لمسألة الفكر السياسي للإمام فيما يتعلق بولاية الفقيه. والعبارة المنقولة

عن الشهيد الصدر(١): (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام) تشير إلى هذا البعد العرفاني للمسألة، فالذوبان أو الإطاعة أو أي شيء آخر، هي في الواقع تعابير مختلفة لحقيقة واحدة.

*** لقد أشرتم أن البعض يفسر نظرية الإمام باعتمادها على النخب، وهذا أمر طبيعي نظرا لتأثير نظرية أفلاطون على الفلسفة الإسلامية، إذ أن ذلك يجعل البعض يتصور أن الفقيه الحاكم قد يمثل نفس الحاكم الأفلاطوني لكن بتعبير فقهي جديد.**

ـ وما الإشكال في ذلك. الفيلسوف بالمفهوم الأفلاطوني، هو فيلسوف نظري وفيلسوف عملي أيضاً؛ لأن الحكمة والفلسفة التي يقول بها تتضمن ستة عناصر أحدها (سياسة المدن). لكن علينا أن ندرك أن سياسة المدن هنا تستند إلى الوحي مع فرض أن الفقيه هو الشخص الذي يستمد من الشريعة رؤيته نحو العالَم واجتهاده وحكمته العملية. أما إذا فصلنا نظرية أفلاطون عن هذا الفرض، عندها يصبح الفيلسوف فيلسوفاً يؤمن فقط بالعقل النظري العلماني والحكمة العملية المنكرة لوجود الله؛ وبالتالي

---

١ آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره.

تصبح هذه النظرية مخالفة لنظرية الإمام وتقع في النقطة المقابلة لها.

*** أي يتشابها من الناحية الصورية؟**

ـ نعم، ولكن بالفرضيات الخاصة بها.

*** في هذه الصورة توجد فرضيات خاصة لنظريات أفلاطون، إذ يعتقد أن بعض الناس لا يمكنهم ذاتا أن يصبحوا فلاسفة، لذا فهم مضطرون للتقليد من ولادتهم حتى مماتهم، فنظرا لوجود التفاضل وعدم المساواة بين البعض في الفلسفة الإسلامية، هل يعتقد الإمام بمثل هذا الرأي، وينظر إلى الناس بصورة غير متساوية؟**

ـ القرآن يقول ذلك أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾(١) أو ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ﴾(٢)، و﴿بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ﴾(٣).

*** هذا من الناحية العقائدية، فهل هي كذلك من الناحية الذاتية؟**

---

١ سورة الحجرات، الآية: ١٣.
٢ سورة النحل، الآية: ٧١.
٣ سورة النساء، الآية: ٣٤.

ـ نعم، وهل يوجد من ينكر وجود التفاوت في القابليات والكفاءات بين الناس؟! فإنّ انعقاد نطفة الإنسان وولادته وحياته تحصل في ظروف متفاوتة أيضاً.

*** أي ظروفهم تتفاوت أم يتفاوتون في ذواتهم؟**

ـ نحن نعتقد أن ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١) أي أن الفطرة الإنسانية فطرة كاملة سوى أنهم (يهودانه أو ينصرانه) لذا ينبغي البحث عن التفاوت بين الناس في فكر الإمام، لكن يمكن أن تستنبط من صريح القرآن الكريم والروايات الإسلامية أن الإمام يعتقد أيضاً بأن الفطرة الإنسانية هي فطرة واحدة طاهرة، لكنها تخلق أناساً مختلفين تبعاً لاختلاف ظروفهم.

*** مثلا إذا بدأنا من الأصول والأعراق، هل يكون العرق اليوناني هو الأفضل؟**

ـ كلا، العرق اليوناني يختلف أيضاً، وإني اعتقد أن أفلاطون كان يقصد ذلك في ظل ظروف مختلفة.

*** نجد في بعض الكلمات أن البعض يولد وذاته من ذهب.**

---

١ سورة الروم، الآية: ٣٠.

ـ هذا يعود إلى العناصر الجينية وإلاّ لا فرق في ذات الإنسان، أي تنمو النطفة في ظل الظروف التي يعيشها الوالدين من التغذية وغيرها؛ وبالتالي إذا ما أخذنا الآثار الجينية بنظر الاعتبار عندها ستختلف ذات الإنسان تبعاً لاختلاف الظروف الجينية التي يعيشها. وتوجد نظرية، تدعي أن الإنسان إذا ما تمكن من تحسين عرقه، بأن يتخلص من جميع الجينات السلبية والاستفادة من الجينات الجيدة، فعندها من المحتمل أن يصبح جميع الناس بشكل واحد. وبالطبع فإن العصمة لا تتنافى مع هذا الرأي؛ بل لعل الله كان يعرف مسبقاً الظروف التي تساعد الإنسان على تجنب الخطأ في الرأي والعمل. وبغض النظر عن العصمة فإن ذات الإنسان وفطرته في مرتبة واحدة، لكن العوامل الثانوية هي التي تجذب الإنسان إلى هذا الطرف أو ذاك. أي، علينا التأمل قليلاً في نظرية افلاطون، ونرى هل كان يقصد في نظريته الذاتي، وهو ما نطلق عليه اصطلاح (الفطرة)، أم يقصد بالذات الوجود الخارجي له؟ نعم، إن الوجود الخارجي يختلف تبعاً لاختلاف الظروف المحيطة به، لكن من البعيد جداً أنه يرى اختلاف الذات بمعنى الفطرة. وبالطبع فإن المعتقدين بالتمييز العنصري يرون أن الأعراق تختلف ذاتاً عن بعضها فيقولون بالاختلاف الذاتي بين العرق الأسود والأبيض والملون.

*** إذا ما أردنا فصل الحكومة عن المعايير الفقهية، وبحثنا فيها بحثا فلسفيا صرفا، فبرأيكم ما هو المعيار الفلسفي في فكر الإمام الذي استند عليه لتقسيم الحكومات إلى مطلوبة ومنحرفة؟**

ـ إن المقياس في تعيين اعتدال الحكومات أو مطلوبيتها واستقامتها هو وفاؤها والتزامها بالشريعة من جهة والسعي لتحقيق المصالح العامة من جهة أخرى.

وكلما قلّت الفاصلة بين القولين كانت الحكومات أفضل وأسلم، وكلما ازدادت الفاصلة بينهما أصبحت موضع النقاش أكثر.

*** برأيكم هل يوجد تفاوت بين حكومة ملكية مقتدرة أو حكومة ديمقراطية تطبق الشريعة جيدا، وبين الحكومة التي يديرها الفقيه؟**

ـ في هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرتموها للحكومة، نجد أن الحكومة التي تقوم على النظام الملكي الدستوري الوراثي، تعجز عن تطبيق الشريعة في المجتمع الذي تحكمه.

*** كيف لا يمكنها ذلك؟**

ـ لأن المَلك لا يَملك حق الحكومة، والملك بمعنى السلطان المطلق الذي يتولى إدارة السلطات الثلاثة معاً، هو طاغوت بمعنى الكلمة.

* ماذا لو كان سلطانا مأذونا من قبل الفقيه؟

ـ في السلطان المأذون، أدخلتم دور الفقيه. فالنظام الملكي الذي تكون فيه السلطة مطلقة استبدادية بيد الملك ـ وليس ملكية دستورية بحيث يسن الشعب القوانين ويقع تطبيقها على الملك ـ هو نظام لا يتلائم أبداً مع الشريعة، فالشريعة لم تمنح الملك حتى هذه الولاية التنفيذية. وأنتم إذا ما تصورتم نظاماً ملكياً مشروطاً، فإن المعيار في كون الشخص ملكاً أنه يولد من ملك، وهذا يتناقض مع الشريعة الإسلامية.

وإذا تتذكرون فإننا في زمن النظام السابق كنا نعترض حتى على أعماله الحسنة، كنا نقول لها حسن فعلي لكن لها قبح فاعلي؛ أي أن هذا العمل حسن لكن لماذا تقوم به أنت؟ وهكذا الحال بالنسبة للحكومة الديمقراطية، فإنها تكون طاغوتية، إذا ما عارضها الفقيه، رغم تأييد غالبية الرأي العام لها؛ لأن حكومة الأقلية العلمانية على الأكثرية الموحدة والمسلمة، لن تصبح

حكومة إسلامية استناداً على الأصل الفقهي ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ على الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.(١)

إذن، على ضوء هذا الفرض يمكن مناقشة الصور الثلاثة التي ذكرتموها.

* أي أنكم وبشكل عام تطبقون معيار الشريعة على شكل الحكومة؟

ـ بالطبع كذلك؛ أي أن القانون والرأي العام إذا لم يطابقا أصول الشريعة، فإن الحكومة لن تكون إسلامية ـ شئنا أم أبينا. لكن يمكن أن يطرح هذا الموضوع على ضوء نظرية المرحوم النائيني(٢) التي تجيز ذلك عند الضرورة لدفع الأفسد بالفاسد، وليس على أساس ولاية الفقيه لأن المسألة تصبح بشكل آخر. لذلك سعى كثير من العلماء إلى إصلاح الحكومة والضغط عليها لإصلاح مسيرتها، بدلاً من الثورة عليها خاصة إذا كان البديل

---

١ سورة النساء، الآية: ١٤١.

٢ محمد حسين بن عبد الرحيم بن محمد سعيد بن عبد الرحيم النائيني النجفي، من أعلام الإمامية، وأحد كبار مراجع التقليد والفتيا (١٢٧٧ـ ١٣٥٥ هـ).

عنها أفسد منها؛ مثلاً يُنقَل عن السيد البروجردي(١) أنه كان يرى أن إزالة هذا النظام سيؤدي إلى سيطرة الشيوعيين على الحكم وهم يؤمنون باجتثاث الدين من المجتمع. والظاهر أنه لا يمكن طرح مسألة دفع الأفسد بالفاسد في مجال الفكر السياسي؛ لأن ذلك يدخل ضمن مسألة الضرورة والاضطرار والتقية.

* هل يمكن طرح هذا التقسيم على أساس (ولاية الفقيه)؟

ـ الظاهر أن ولاية الفقيه، معنى جديد وليس لها أصل معين، إذ توجد في ولاية الفقيه سلسلة من مراتب الولاية تنتهي بشخص معين: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ..﴾(٢)؛ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٣)؛ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، لكن كيف يمكن وضع هذه السلسلة من المراتب في ولاية الفقيه؟ إذا عبرتم عن ولاية (القانون الإلهي) و(ولاية الشريعة) باصطلاح ولاية الفقيه؛ ففي هذه الحالة لا يمكن نسبة القدرة السياسية إلى القانون؛ أي إذا قلتم أن القانون هو الحاكم فهذا تعبير سياسي

---

١ حسين بن علي بن أحمد بن علي نقي بن جواد بن مرتضى الطباطبائي الحسني، البروجردي، نزيل قم (١٢٩٢ـ ١٣٨٠ هـ).
٢ سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
٣ سورة الأحزاب، الآية: ٦.

خاطئ؛ لأن إرادة الشعب هي الحاكمة، بينما يمثل القانون مظهراً لهذه الإرادة، على كل حال، اصطلاح ولاية الفقيه يحتاج إلى سند ودليل خاص.

* هل يمكن القول أن ما يهدف إليه الإسلام، هو تطبيق الأحكام التي تصدر عن المراجع، وهذا ما نطلق عليه باصطلاح ولاية الفقيه؟

ـ هذا يخالف الأصول العقائدية، لأننا نؤمن بالوحي وبالنبي أيضاً، وكلاهما أي القانون والمنفذ له من الله. وهذا ما يؤيده حديث الثقلين: (كتاب الله وعترتي)؛ لذا يجب التأمل قليلاً، أنه هل يوجد مثل هذا التعبير في الروايات الإسلامية؟ مثلاً الإمام الحسين (ع) كان مستعداً للشهادة في سبيل إحياء الشريعة، فهل يمكن القول: إذن، إحياء الشريعة أسمى من الإمام، ومن اللائق أن يستشهد الإمام في سبيل إحياء الشريعة؟

ومن هذه القرائن يمكن استنباط بعض الأصول، لكن في الروايات التي تحدثت عن ولاية الإمامة والحكومة، لم نجد فيها ما يشير إلى تعبير الشريعة بدون المنفذ والمطبق لها.

* ليس لدينا منفذ معين.

ـ النبي والإمام منفذان معينان، أما الفقيه الجامع للشرائط فهو منفذ عام.

*** لو نحدد الأمر بالمراقبة والإشراف، فالمفهوم هو ولاية الفقه وليس ولاية الفقيه.**

ـ لماذا نقول فقيه ولا نذكر الاسم؟ بدلاً عن زيد، نقول الولاية الفقهية.

*** أليس من الأفضل أن نذكر المنهج الذي يمكنه تطبيق الأحكام الإسلامية أفضل من المناهج الأخرى، لا أن نقول حاكمية الفقيه.**

ـ إذا ما استعملنا كلمة الفقه بدلاً عن الفقيه، فإننا في الواقع سنصل إلى نوع من الشمولية السياسية؛ أي يمكن الاستفادة من نماذج مختلفة في ظل ظروف مختلفة. لكننا لا نجد مثل هذا الأمر في الشريعة الإسلامية؛ إذ لا يمكن أن تتحقق حكومة الوحي من دون النبي والقانون من دون الإمام، حيث أن (مجاري الأمور بيد العلماء) وأمثال ذلك القانون يكون مساوياً لمنفذ القانون.

إنَّ نظرية الفصل بين السلطات تستمد أصولها من المفاهيم الإسلامية؛ أي الوحي مع النبي والفقه مع الفقيه.

وبالطبع فإن الفقيه يوجد الفقه بمعنى الاستنباط، لكنه لا يوجد الشريعة، كما أن الشريعة لا توجد الفقيه، فكلاهما مستقلان. كذلك الوحي لا يوجد النبي، كما أن النبي لا يوجد الوحي. وأنا لا أنفي هذا الأمر مطلقاً، إذ يمكن أن نجد إشارات له عند مراجعة الروايات الإسلامية، لكن صريح حديث الثقلين وأمثاله يؤيد كونهما متوازيين.

* برأيكم ما مدى ملائمة النظريات والأفكار السياسية للإمام مع النظريات الديمقراطية؟

ـ كان هذا الموضوع يمثل السؤال الأساسي للثورة الإسلامية والفكر السياسي للإمام. أني اعتقد أن آراء الإمام تعتمد على الشعب، لكن ليس الشعب بصورة مطلقة، بل الشعب الذي تربى على يد الفقيه، والشعب المؤمن بالله، والمتمسك بالشريعة والإسلام (الديمقراطية بإشراف الفقيه). كما نجد أن الإمام قد استفاد كثيراً في كلامه من اصطلاحات: (الله والقرآن، والشعب)، لكن ليس مطلق الشعب؛ بل الشعب الذي تربى على يد الفقيه، فماذا تطلقون على هذه الديمقراطية انها ديمقراطية الإمام؟.

إنّ هذا الشعب الملتزم هو المحور الذي يوجد كل شيء، يوجد الثورة والنظام، ويوصل الفقيه إلى الحكومة المطلقة؛ لكن

ماذا لو لم تتمكن ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(١) من هداية الناس وتربيتهم؟

* هل أنتم تعتقدون أن الإمام قد ربى هذا الشعب؟

ـ نعم كان الأمر كذلك، فنحن لازلنا نتذكر أحداث الثورة وما زالت صورها تتراءى أمام أعيننا. فالإمام هو الذي ربّى هذا الشعب، فقد كنا نرى نساءاً بحجاب سيء يشتركن في المظاهرات ويهتفن نريد حكومة إسلامية؛ بل حتى بعض رجال النظام السابق ندموا على أعمالهم وأصبحوا يؤيدون هذه الثورة.

* وهل نمتلك مثل هذا الشعب؟

ـ إن هذا بحث مستقل، أن نقول كم في المئة مازلنا نمتلك من هذا الشعب حتى الآن، وكم في المئة فقدنا منه، ولماذا فقدنا ذلك، هل بسبب زوال جاذبية الإمامة أم بسبب المؤامرات المختلفة؟ إن هذا البحث يتطلب تحليلاً مستقلاً، وهو لا يختص بهذا الزمان؛ بل كانت توجد بعض المعارضة حتى في زمان الإمام.

---

١ سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

*** لعل هذا الموج العظيم من المظاهرات والنزول إلى الشوارع كان بسبب إدراك الإمام لمطالب الشعب واحتياجاته وبسبب حب الشعب للإمام. وهذا التحليل يناقض تقريبا تحليلكم.**

ـ لاشك في أن الشعب كان يحب الإمام، ومتأثر بجاذبية إمامه.

*** إن إيمان الإمام بقدرة الشعب جعلته يدرك مطالبه واحتياجاته فيطرحها ويطالب بها؛ أي أن الإمام سعى إلى التقرب بنفسه من الشعب والتلائم مع مطالبه، لا أن الشعب هو الذي تلائم مع أهداف الإمام.**

ـ إن الإمام كان يدعو منذ البداية إلى تطبيق أحكام الإسلام، ولم يعترض على الشاه إلاّ لمخالفته لهذه الأحكام.

*** وهذا ما كان يريده الشعب.**

ـ هل لديكم دليل على ذلك؟

*** لأن الشعب كان مسلما فمن الطبيعي أن يريد ذلك.**

ـ لقد تمكن الإمام من تركيز الإرادة الإسلامية ـ الإيمانية للشعب وتحويلها إلى قدرة سياسية؛ لكن هذه القدرة السياسية

كان يسيطر عليها شخص واحد، وبذلك تحقق معنى إمامته التي تشير إليها الآية: ﴿يهدون بأمرنا﴾. والآن، لا إشكال في قولكم أن الإمام كان يقول كل ما يريده الشعب، فهذا أسلوب للجذب لكنه لم يخدعهم؛ أي كان يقول أولاً ما يريده الشعب ثم يقول شيئاً آخراً؛ حتى أنكم رأيتم أن بعض الأحزاب والمنظمات قد تأثروا بالإمام، وكان المنافقون يقولون:

إننا أول من أطلق لقب الإمام على الإمام ـ الآن نحن نشك في ذلك ـ وكان إطلاق لقب الإمام من قبل المنافقين في مقدمة عناوين صحيفة المجاهد، بل كانوا يطلقون العديد من الشعارات في كل عدد منها. كذلك حزب الشعب (توده) كان يؤيد القيادة السياسية للإمام.

النقطة السياسية المهمة جداً والعجيبة أن أحداً لم يدع طيلة مراحل الثورة قيادته لها، رغم أن مثل ذلك قد حصل حتى في زمان النبي بظهور شخصيات أمثال مسيلمة الكذاب؛ نعم طالب البعض بحصة ومكاسب لكنهم لم يدعوا أبداً قيادة الثورة.

إذن، ما افترضته لا يتعارض مع ما قلته أنا سوى أنه يبين أحد الأساليب التي جعلت الشعب يؤيد الإمام ويلتف حوله، وهو أن الإمام كان يعبّر عما في قلوب الناس.

*** ولكن في كثير من الأحيان كان الإمام يسعى للتأقلم مع الشعب؛ فمثلا في الانتخابات الأولى لاختيار رئيس الجمهورية؛ ورغم أن الإمام لم يصوت في ذلك اليوم لبني صدر لكنه وافق على الأخذ برأي الشعب، وعهد إلى بني صدر منصب القائد العام للقوات المسلحة ورئاسة شورى الثورة.**

ـ فيما يتعلق ببني صدر، كان الإمام يأمل في إنقاذه من هذه الجراثيم لكن بني صدر وقع ضحيتها. وبالطبع كان الإمام يرى في تلك المرحلة ضرورة عدم تولي رجل الدين منصب رئاسة الجمهورية؛ وإلا لم يكن بني صدر يستطيع الوصول إلى هذا المنصب مع وجود شخصيات بارزة كالشهيد بهشتي وأمثاله. وفي الواقع، إن الإمام كان لا يرغب أن يُقال إن رجال الدين قد سيطروا على كل شيء.

*** وهذا أيضا يعتبر من الناحية العملية نوعا من التأقلم والتلائم مع رأي الشعب.**

ـ نعم كان هذا رأي الشعب، لكن الإمام أيضاً كان يرى أن المصلحة تقتضي ذلك.

*** هل كان الإمام يرى أن المصلحة تقتضي أن يكون مع الشعب لا أن يكون الشعب معه، وأن الواجب يقتضي في مثل هذه الموارد احترام رأي الشعب؟**

ـ أشك في ذلك. ليس لدينا الآن إحصائيات عما إذا كان الشعب سيعترض على انتخاب الشهيد بهشتي مثلاً رئيساً للجمهورية.

إنّ الإمام كان يرى أن المصلحة تقتضي السير بهذا النهج ويستمر ذلك في المستقبل أيضاً، ولم يكن ذلك لمجرد أن الشعب كان يريد هذا النهج؛ بل إن الشعب انتخب بني صدر وصوت له أحد عشر مليوناً (لأجل تأييدهم للإمام)، وإلاّ لم تكن شعبية بني صدر بذلك الحجم، إنما كانت جاذبية الإمام هي السبب في تأييد الناس لبني صدر والسبب في تخليهم عنه، فالإمام هو الذي ربى هذا الشعب وأثر عليه بهذا الشكل.

بل إن تهمة غسل الأدمغة التي يطلقها المحللون الغربيون هي نفس هذه الجاذبية عند الإمام، سوى أننا نستعمل اصطلاحاً مناسباً للتعبير عنها فنقول جاذبية الإمامة والجاذبية المعنوية، في حين إنهم يضعون عليها صبغة مادية لعدم اعتقادهم بها فيعبرون عنها بغسل الأدمغة.

لكن إذا ما تصورتم هذا العشق للشهادة أو بتعبير من لا يعتقد بالمعاد العشق للموت عند شاب صغير في فترة الدفاع المقدس، فهل يمكن أن يحصل ذلك بدون تربية معنوية؟!

ولم يكن ذلك مقتصراً على الشباب في فيالق التعبئة، بل نجد هذه الصبغة والحالة المعنوية حتى عند الأطباء الشباب، الذين كانوا يتحلون بالإيمان والتدين أكثر مني ومنك، رغم أن شريحة الأطباء معروفة بابتعادها عن الدين؛ والسبب في ذلك كان، تربية الإمام وتأثيره عليهم.

في الواقع، لم يكن الإمام تابعاً للشعب، بل إنه ربى الشعب بالشكل الذي جعلهم يحبونه إلى أقصى حد فما كان الإمام ليبدأ بالبكاء حتى يجهش الجميع بالبكاء.

من النقاط الخفية التي كانت تميز الأسلوب الذي اتبعه الإمام في حديثه وكلامه، أنه لم يشتك أبداً من الشعب رغم الإشتباهات التي حصلت منه. حتى أمير المؤمنين (ع) اشتكى كثيراً من أهل الكوفة؛ بل وكان مستعداً لاستبدال كل عشرة منهم بواحد من أنصاره، لكن الإمام لم يفعل ذلك ولعل الأمر يعود إلى المسائل العرفانية في هذه القضية.

فالإمام في وقت الأزمات كان يلغي برامج الزيارات وأحياناً كان يغيب عن الأنظار لعدة أيام، فماذا كان يفعل الإمام؟! نحن لا نعلم! لأنها كانت تعود لارتباطاته المعنوية، ونحن لا نريد هنا أن نقول أنه كان يتصل بالإمام المهدي(عج) ويأخذ التعليمات منه؛

إذ أن الشخص القادر على تغيير الناس يحتاج إلى قدرة أكثر تمكنه من التغيير.

كذلك السيد الطالقاني كان يقول: كلما حضرنا عند الإمام كنا نستمد القوة والمعنوية منه. حتى قائد الثورة يحتاج إلى هذه القوة والمعنوية، فكيف تفسرون ذلك؟ هل كان الإمام يغيب للاستراحة مثلاً؟ أم أن المحيطين بالإمام كانوا يخفون عنه ما يحصل من أحداث؟! في حين أن الإمام كان يستمع إلى جميع التقارير التي تصل إليه بشكل مكثف. وهذا يفسر أن الإمام كان يغيب ليستمد القوة والمعنوية ويزيد من قدرته على التأثير. وعلى كل حال، إنّ هذه النقطة مهمة جداً، أن الإمام لم يشتك من الشعب ولو لمرة واحدة، رغم ضعف الشعب وتراجعه في كثير من المناطق كالفاو مثلاً.

النقطة الأخرى، أن الإمام كان شديد البصيرة في المسائل المختلفة.

أتذكر عندما كنا في النجف الأشرف سنة (١٩٦٩م)، لم يصدر الإمام لفترة معينة أي بيان أو إعلان، فترك هذا الأمر تأثيراً واسعاً بين الناس حتى أن البعض ممن كان ينظر بسوء نية للأمر، تصور أن الإمام اعتزل الجهاد والتزم بالتقية. وتوالت ردود الأفعال

والضغوط الشديدة من إيران وغيرها على الإمام. وعندما طرحت عليه هذه المسألة، أجاب: إنّ إصدار البيان أو الإعلان ليس بالشيء الهيّن حتى يستطيع المرء كتابة أربعة بيانات كل يوم، وهل أن عدم إصدار بيان يعني انتهاء الثورة وأفولها؟

وكان الإمام دقيقاً جداً في إدراكه للظروف والأوضاع المحيطة به؛ إذ على السياسي أن يتمتع بهذه الصفة، بغض النظر عن قدرته الفقهية والعرفانية. فمثلاً لم يكن قد مضى على وصول الإمام إلى النجف عدة أيام، حتى استدعاني وطلب مني أن أنقل له كل ما يجري في النجف.

في البداية امتعضت من هذا الطلب كأني أتجسس مثلاً! لكن بعدها كنت أحضر عنده كل يوم عصراً في وقت معين، وأدخل غرفته مباشرة، وأنقل له ما جرى في النجف ذلك اليوم، فمثلاً: ماذا قالوا عنكم وعن إيران؛ أي أن الإمام كان على إطلاع بما كان يحصل في النجف، وبالطبع كان يوجد أشخاصٌ آخرونٌ غيري.

أتذكر أنه سألني ذات يوم، ماذا كانوا يقولون عني؟ قلت: يقولون أشياء كثيرة مثل؛ لماذا عمامة السيد صغيرة، ولحيته قصيرة؟.

لقد كان الإمام يريد أن نخبره عن كل شيء، عندها تبسّم الإمام وسأل: وماذا قلتم؟ قلت: كنا نهتم بجمع الأخبار فقط ولم نكن مستعدين للإجابة؛ فقال:

قولوا لم يصبح مشركاً حتى الآن. على كل حال، أقصد ما كان يتمتع به الإمام من وقار وسياسة وذكاء. لقد لاحظنا وقوع الكثير من الأحداث حسب ما توقع الإمام بدقة. ففي الليلة التي ذهب فيها السيد الحكيم من النجف إلى بغداد ـ للاعتراض على سياسة حزب البعث في العراق والتي لم يعد بعدها ـ كان الإمام يتابع الأمر باضطراب شديد، ويصّر على عدم خروج السيد من النجف؛ لأنه كان يتوقع عدم عودته بعدها. وإني أتذكر أن السيد الحكيم عندما سافر إلى بغداد للاعتراض على الحكومة أخبر جميع العشائر بسفره، فاجتمعت العشائر بسلاحها وخرجت في مظاهرات حاشدة وسط بغداد، مما أجبر الحكومة على التراجع في البداية، ثم عادت الحكومة وأغلقت جميع طرق الدخول والخروج من بغداد ونزعت سلاح العشائر، ثم أعدمت شيوخ العشائر واصطحبت السيد الحكيم تحت حراسة مشددة إلى أحد البيوت في بغداد. وبعدها دخلت العناصر الأمنية إلى غرفة السيد لتفتيشها بحجة أن ولده يعمل جاسوساً ضد الدولة، وكان هذا الأمر صعباً جداً على السيد.

فالإمام كان قلقاً جداً في تلك الليلة وسعى جاهداً من خلال رسائله إلى العديد من الشخصيات للحيلولة دون سفر السيد الحكيم إلى بغداد. فكانت فراسة الإمام نعمة إلهية هكذا نفسرها من الناحية العرفانية، فنقول: (المؤمن ينظر بنور الله)، (مؤيد من عند الله). وسواء فسّرنا ذلك بكونه إمداداً غيبياً أو بتفسير سياسي عادي فنقول: إن من يريد قيادة ثورة أو نهضة عظيمة عليه أن يتسلح بصفات وخصائص معينة.

* عندما كان الإمام في طهران، كان يحرص على متابعة أخبارهم

ـ ليس بالأمر البعيد؛ فمثلاً عندما كان في النجف الأشرف، كان يحضر لزيارته باستمرار عدد من الأشخاص الحقيقيين والحقوقيين، لكنه لم يلتق بشكل خاص مع أي مسؤول من الحكومة العراقية. وأتذكر أني ذهبت للقاء الإمام يوم الجمعة في كربلاء، فشاهدت عدداً من السيارات الحكومية التي تحمل الأسلحة فوقها، كانت متوقفة أمام بيت الإمام، فعرفت أنهم جاءوا للقاء الإمام، فعندما دخلت البيت لم أرَ الإمام لكني رأيت الحاج الشيخ عبد العلي الأصفهاني، فلما رآني قال: تفضل الإمام ينتظرك، وعندما دخلنا خرج الإمام فوراً لاستقبالنا حتى يحضر

معه شخص واحد على الأقل، ليشهد على ما يقال في لقائه مع هؤلاء الأشخاص الثلاثة من حزب البعث.

كما حضر للقاء الإمام بعض أعضاء منظمة المنافقين ضمن وفد من اتحاد الجامعات في أمريكا وأوروبا، لكن الإمام كان يرفض اللقاءات الخاصة.

وعندما دخل الإمام، بدأ الأفراد الثلاثة من حزب البعث بالتملق فقالوا، الحمد لله كانت مراسم العزاء هذه السنة جيدة، وقد قامت الحكومة بتقديم التسهيلات اللازمة لها، وكانوا يتوقعون رد الإمام بأن يقول مثلاً: حسناً فعلتم، لكن الإمام فضل السكوت ولم يرد عليهم. فقالوا:

لقد سرت الرطوبة إلى السرداب في مرقد أبي الفضل العباس (ع)، فقامت الحكومة بصيانته، لكن الإمام بقي ساكتاً أيضاً، فنظر رئيس الوفد إليَّ وقال ترجم له ما نقول، فأجبت: إنه يفهم كلامكم تماماً.

فاستمروا بالكلام وقالوا: إن أحمد حسن البكر سمع بمرضكم، فقلق عليكم وأمر بإرسال هيئة طبية لمعالجتكم، فإذا تسمحون نتصل ببغداد الليلة لإرسال هذه الهيئة إليكم.

فأراد الإمام قطع كلامهم فقال: (لا ما يحتاج)، ونهض بعدها مباشرة وانصرف بدون أن يودعهم أو حتى ينظر إليهم، رغم أنه كان تحت سلطتهم. وبعد انصرافهم عاد إلينا وجلس معي لفترة يسألني عن أحوالي، ثم ودعني وانصرف.

إنّ البعثيين كانوا أشد قسوة حتى من عناصر نظام الشاه، وكان من الممكن أن يؤذوا الإمام لكن الله حفظه من شرهم، ورغم ذلك لم يعبأ الإمام بهم فلم يجبهم ولم ينظر إليهم.

لقد كان الإمام يتحلى بصفات مميزة جداً، فمثلاً عندما أقام الإمام مراسم الفاتحة على روح السيد الحكيم في مسجد الهندي في النجف الأشرف، إمتلأ المسجد والسوق والشوارع بالناس، فجاء الخبر بوصول هيئة حكومية للمشاركة في هذه المراسم. فهرع الناس من الخوف وقام جميع من كان في المسجد حتى السيد الخوئي الذي كان جالساً قرب الإمام؛ لكن الإمام لم ينهض وبقي جالساً في مكانه مطأطأً رأسه إلى الأسفل. فدخلت هذه الهيئة التي ضمت عدداً من الوزراء والمسؤولين ووقفت أمام الإمام لتقديم التعازي، لكن الإمام بقي في مكانه ولم يرفع رأسه. فهذا الموقف يحتاج إلى التأمل من الناحية السياسية وحتى العاطفية!! مرّ الوفد أمام الإمام وجلسوا في المسجد، وبعد أن

نهضوا لمغادرة المسجد نهض الجميع وفتحوا الطريق لهم، لكن الإمام لم يرفع رأسه أيضاً؛ إذ لم يكن يريد أن يستغل البعثيون معارضته للشاه لتحقيق مآربهم الخاصة لأنهم كانوا على خلاف مع الشاه أيضاً. القضية الأخرى: إنّ الحكومة العراقية سعت إلى التقليل من احترام السيد الحكيم، فأرسلت وفداً للقاء جميع المراجع في النجف ومنهم السيد الخوئي والسيد الشاهرودي والإمام، لكنهم لم يذهبوا للقاء السيد الحكيم. وقد ألتقى بهم الإمام لكنه لم يتحدث معهم شيئاً في اللقاء، وفي اليوم التالي نشرت الصحف أن الحكومة أرسلت وفداً للقاء المراجع في النجف، الذين دعوا لسلامة أحمد حسن البكر، وكان هذا الأمر متعارفاً في جميع الدول، حتى الشاه كان يفعل ذلك في إيران. لكن الإمام ما إن سمع بالخبر حتى امتعض بشدة وأرسل شخصين لمحافظ النجف ليبلغوه باللهجة العراقية أنه إذا لم تكذب جميع الصحف هذا الخبر فإني سأكذب الخبر في الصحف العالمية. فاضطر البعثيون إلى تكذيب الخبر وكتبوا في الصحف، أن اللقاء مع السيد الخميني لم يتطرق إلى الحديث عن أحمد حسن البكر، وأما بقية المراجع فلم يكذبوا الخبر.

* ما هي الوسائل التي كان الإمام يمتلكها لنشر مطالبه؟

ـ لقد كان كافياً أن يتحدث الإمام أو يرسل بياناً أو إعلاناً إلى سوريا أو إيران؛ إذ لم يكن النظام يعارض ذلك لأنه كان مخالفاً لإيران، لكننا لم نكن نعلم ماذا سيحدث. فالإمام عندما كان في العراق لم يتصد لمعارضة النظام الحاكم بل كان يقول: (إن وظيفتي هنا تختلف عن بقية المراجع، فالمرجع الأعلى هنا هو السيد الحكيم، وأنا طالب ليست لدي أية مسؤولية، ولا يهمني إلاّ: معارضة النظام في إيران)، وأظن أنهم شعروا ببداية المعارضة والنضال ضد الشاه؛ لأن الشرطي في النجف كان يتمتع بسلطة تعادل سلطة الشاه، لكن مع ذلك كان الإمام يقف بوجوههم جميعاً. فالإمام كان يتميز بصفات خاصة جداً.

* من هم الأفراد الذين كان الإمام ينقل عنهم أكثر من غيرهم؟

ـ لا أتذكر أنه كان ينقل عن شخص معين في كلامه، لكن في درسه كان ينقل كثيراً عن المرحوم النائيني.

* هل كان الإمام يشترك في جلسات خاصة مع العلماء الآخرين؟

ـ كان الحاج مصطفى صديقاً لإبن السيد البجنوردي الذي كان إمام الجماعة في شارع (گرگان)، وقد كان ذلك سبباً لأن

يأتي السيد حسن البجنوردي أحياناً للقاء الإمام؛ وأما في النجف فقد ابتعد الإمام عن المسائل العاطفية والأمور الشخصية.

«لو قام شخص ما بتفسير الأحكام بنحو لا يرضي الله، أو بإحداث بدعة بذريعة أن العدل الإسلامي يقتضي ذلك، أو بتنفيذ أحكام مخالفة للإسلام، فيجب على العلماء أن يبدوا معارضتهم له. فإذا لم يفعلوا، فإنهم ملعونون من الله تعالى، وهذا واضح من خلال الآية الشريفة ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(١) وفي الحديث (إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه وإن لم يفعل فعليه لعنة الله)» (٢).

١ سورة المائدة، الآية: ٦٣.
٢ أصول الكافي، ج: ١ ص: ٥٤.

آية الله صدوقي ورسالة الشاه إلى الإمام الخميني قدس سره

ترجمة: علي قازان

في أحد الأيام جاءني شخصان من طهران إلى يزد، وقالوا لدينا اقتراح لكم، والاقتراح هو التالي:

«إن الشاه مستعدّ لتسليم جميع أجهزة الدولة إلى السيد الخميني، إذهبوا حضرتكم برفقة شخصين آخرين إلى آية الله الخميني وقولوا له أنّنا سنفوّض إليه كلّ شيء. سنجعل مجلس الوزراء، والمجلسين، والجيش وجميع أجهزة الدولة دون أدنى نقصان في يد آية الله الخميني، لكن بشرط واحد، وهو أن يبقى الشاه، بحيث يكون الحكم (ملكياً لا حكومياً)...».

في تاريخ ٥٧/٧/٢٤، أخبر جهاز الـ (ساواك)[1] بأن آية الله صدوقي ينوي السفر إلى باريس؛ ولكنّه لم يسافر، إلى أن تلقّى اتصالاً في تاريخ ٥٧/٨/١٠ من الحاج السيّد أحمد الخميني الذي سأله أثناء هذه المخابرة عن سبب تأخّره في القدوم:

---

(١) جهاز الأمن والمعلومات في زمن الشاه. تلفظ بالفارسيّة هكذا : Savak.

نصّ تقرير عامل التنصّت على مكالمات آية الله صدوقي: «في تاريخ ٥٧/٨/١٠ اتّصل أحمد الخميني من باريس بمحمد صدوقي وقال: لقد كنّا منتظرين، لماذا لم تأتوا؟ فقال صدوقي: خفت أن يأخذ الأمر طابعاً سياسيّاً، فقال أحمد: لا عليك من هذا الكلام، إن السيّد الخميني يرغب برؤيتكم أنت والسيد الخامنئي، وبما أنّ آية الله صدوقي قد عزا سبب عدم سفره إلى باريس إلى الخوف من تحوّل السفر إلى سفر سياسي، فإذن نستطيع أن نقول أنّ هذا السفر لم يكن سفراً عاديّاً، ولا بدّ أن أمراً مهمّاً في البين، إذ أنّه على الرغم من رغبته الشديدة بلقاء الإمام الخميني قدس سره، فقد أعرض عن هذا السفر».

لم يفهم عنصر الـ (ساواك) ما المقصود من هذا التعبير الذي استخدمه آية الله صدوقي، واكتفى بنقله في التقرير. وفي النهاية، بعد أن أصرّ الإمام الخميني قدس سره، سافر آية الله صدوقي جوّاً بتاريخ ١٣٥٧/٨/١٣ قاصداً باريس. أمّا المحادثات التي جرت بين آية الله صدوقي والإمام الخميني، فقد تمحورت ـ على ما نقله عنصر الـ (ساواك) ـ حول إضرابات الأسواق وتنظيم الكفاح الشعبي وتوخّي الضغط الخارج عن الحدّ على التجّار. ولكنّ الحوار تضمّن كلاماً حول موضوعٍ أهم من هذا بكثير.

لقد كان آية الله صدوقي، لما له من منزلة عند الإمام الخميني، حاملاً رسالة من الشاه إليه قدس سره، وقد كان مضمون هذه

الرسالة: طلب المصالحة. وقد استخدم الشاه في الواقع، آخر رصاصة لديه ليحفظ نظامه الملكي. وفي نفس الوقت، كان أعضاء (جبهه ى ملي) (الجبهة الوطنية) و(نهضت آزادي) (حركة الحريّة) الذين كانوا يسكنون قريباً من الإمام الخميني في باريس، يهيئون الأرضيّة من أجل قبول هذا الطلب، وبعبارة أخرى، كانوا يسعون لثني الإمام الخميني قدس سره عن متابعة الكفاح أما الشهيد صدوقي، الذي كان يعرف أسلوب الإمام الخميني، كان يعرف أنّ الإمام ليس من الذين يساومون. لذا عزم على أن لا يسافر إلى باريس أصلاً، لكي يسدّ الطريق على أيّ نوع من الاستغلال لهذا السفر. ولكنّ الإمام الخميني كان قد أرسل رسالة يؤكّد فيها على مجيء آية الله صدوقي إلى باريس، وأن لا يعير هذه الأمور انتباهاً. وبعد السفر إلى باريس، نقل آية الله صدوقي قصّة طلب الشاه من الإمام الخميني قدس سره.

وفي حديثه عن هذا السفر ولقاء الإمام الخميني قدس سره يقول: في أحد الأيام جاءني شخصان من طهران إلى يزد (وقد كان أحدهم من عناصر السافاك بالتأكيد)، وقالوا لدينا اقتراح لكم، والاقتراح هو التالي:

«إن الشاه مستعدّ لتسليم جميع أجهزة الدولة إلى السيد الخميني، فليذهب حضرتكم برفقة شخصين آخرين إلى آية الله الخميني

وقولوا له إنّنا سنفوّض إليه كلّ شيء. سنجعل مجلس الوزراء، والمجلسين، الجيش وجميع أجهزة الدولة دون أدنى نقصان في يد آية الله الخميني، لكن بشرط واحد، وهو أن يبقى الشاه، بحيث يكون الحكم (ملكيّاً لا حكوميّاً...)».

فكّرت قليلاً في الأمر، وقلت في النهاية: سأؤجّل التعبير عن استعدادي. ثم إنّا طلبنا من الشرطة أن يعطونا جواز سفر، وما أن وصلتهم رسالتنا حتى بعثوا إليّ بجواز أخضر، لا أدري ماذا كانوا يسمونه (لعلّه ما كان معروفاً يومها بالجواز الدبلوماسي) فجاء شرطيّ وقدّمه إليّ بكلتا يديه (باحترام)، فذهبت بعدها إلى قم لكي أتواصل مع أخي حضرة آية الله بسنديده[1]، وأتحدّث معه حول هذا الأمر. وفي جوابه لي عن هذا الموضوع قال: أنا من أرسلهم إليك، منذ فترة جاء هذان الشخصان إليّ. وطلبوا منّي شيئاً، وأنا دللتهم عليك وعلى شخصين آخرين. فقلت له: «سيّد بسنديده، مهما يكن واقع الأمر، فالإمام (الخميني) سيرفض، أضف إلى ذلك أنّنا إذا ذهبنا إلى باريس، سيقولون في الراديو والتلفزيون: لقد ذهب فلان وفلان من قِبل الشاه من أجل الإصلاح، وهذا ما سيذهب بماء وجهنا».

---

(١) بالفارسية: پسنديده، وهكذا يلفظ: pasandide.

فقال: «لا، لا عليك من شيء كهذا». ولكن مع ذلك استخرت على الذهاب أو البقاء، فجاءت الإستخارة أن نصبر في الوقت الحالي، ورجعت إلى يزد. في هذه الأثناء، كان الشاه قد أرسل رسائل إلى محافظ يزد كان فيها (فليأت ويزورنا) ولكنّي رفضت. وبعدها بيومين أو ثلاثة اتّصل أحد المقرّبين من (السيّد) وقال: «كان من المفترض أن تأتي إلى باريس، فما الذي حصل؟» فقلت:

«أعذرني». فقال: «لا ضير عليك من هذا الكلام، والإمام يودّ أن تأتي إلى باريس، وأن تصطحب معك السيّد الخامنئي».

بعد الاتصال، شعرنا بالاطمئنان، وعرفنا أنّه لا مشكلة في الأمر. حاولت كثيرا الاتصال بالسيّد الخامنئي لكنّي لم أوفّق، فذهبت مع بعض الأصدقاء ـ ومنهم السيّد اعتماديان ـ إلى باريس.

وهكذا جرت لقاءات مع الإمام، ونقلت إليه هذا الكلام، وكان في وقت سابق قد تكلّم (سنجابي) و(بازرگان) بهذا الكلام أيضاً. فقلت للإمام أنّي لم آت لأقول هذه الكلمات وأطلب شيئاً منك، وأنا أعرف أنّك لن توافق بأي شكلٍ من الأشكال على هذا الأمر، ولكن سأتحدث من باب نقل ما جرى.

فقال عندها الإمام: «بلى، إنّ هؤلاء (الجبهة الوطنية، حركة الحرية) شياطين، وعلى الشيطان أن يتتلمذ على أيديهم. إن ثورةً

كهذه ليس لها نظير في العالم، قد حصلت في إيران، وهؤلاء غاية همّهم هو أن تفشل هذه الثورة، وإذا ما أردنا أن نحيي هكذا ثورة من جديد بعد أن تنام، فمن المؤكّد مئة بالمائة أنّه لن يتيسّر لنا ذلك. وبعد أن تغطّ الثورة في سباتها، وتستتبّ الأمور لهم فلا شكّ أن أدائهم سيكون أسوأ من ذي قبل.

ثانياً: لو فرضنا أنّهم يقولون صدقاً، وأنّهم سيضعون الخيار في كلّ شيء بأيدينا، وبقي الشاه ملكاً، ولم يُستبدل بنظام حكومي، فبماذا أجيب تلك المرأة التي كانت تمدّ سفرة الغداء وحولها اثنين أو ثلاثة من أبنائها الشباب وكانوا يأكلون سويّة... والآن عندما تنظر حولها ترى أن لا أحد من الشباب بجانبها، وهم الذي استشهدوا جميعاً. بماذا أجيب هذه المرأة؟! أتريدها أن تقول إنّهم قتلوا أولادي الشباب ثمّ ذهبوا وتصالحوا؟! كلّا، ليس هناك من سبيل، لا بدّ أن يرحل الشاه». وبعد إقامة دامت عشرة أو اثنا عشر يوماً في باريس، استأذنت الإمام ورجعت إلى إيران.

حوار مع سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني[1]

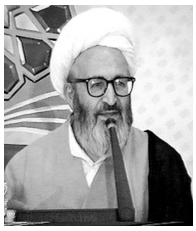

الحوزة: سماحتكم كنتم أحد تلامذة الإمام الراحل قدس سره وحضرتم دروسه لفترة طويلة لذا نرجو من سماحتكم أن تبينوا لنا البعد العلمي عند الإمام الراحل قدس سره.

---

(١) آية الله الشيخ جعفر السبحاني، ولدَ في تبريز سنة (١٣٠٨هـ ش)، ودرس في حوزتها دروس المقدمات وقسماً من دروس السطوح العليا. وفي سنة ١٣٦٥ هـ ش انتقل إلى مدينة قم لإكمال دراسته الحوزوية، فتتلمذ على يد آية الله السيد البروجردي وآية الله الشيخ بهجت، وفي الفلسفة تتلمذ على يد العلامة الطباطبائي.
كما حضر الشيخ السبحاني دروس خارج الفقه والأصول للسيد الإمام قدس سره لمدة أربعة عشر سنة، وقام بتقرير مباحثه الأصولية في ثلاث مجلدات تمّ نشرها تحت عنوان (تهذيب الأصول). وإضافة إلى عمله في مجال التدريس في المراحل الحوزوية المختلفة وتدريس خارج الفقه والأصول، يعد الشيخ من المؤلفين المتميزين في الحوزة حتّى وصلت مؤلفاته إلى ما يقارب السبعين تأليفاً. ويعتبر آية الله الشيخ السبحاني في مقدمة المهتمين بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حيث صدر له حتّى الآن في هذا المجال خمس مجلدات باللغة العربية تحت عنوان (مفاهيم القرآن) وثمان مجلدات باللغة الفارسية تحت عنوان (منشور جاويد). ومن مؤلفاته الأخرى نذكر: الإلهيات، فروغ أبديت، پژوهشى عميق در زندگانى على عليه السلام، ورساله جهانى پيامبران و...

الأستاذ: سأتحدث لكم باختصار عن بعض الأبعاد المهمة في حياة الأستاذ الكبير سماحة الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّه، بحيث يتضمن هذا الحديث البعد العلمي من شخصيته:

ولد الأستاذ الراحل قُدِّسَ سِرُّه في عشرين جمادى الآخرة سنة (١٣٢٠هـ.ق)، وانتقل إلى رحمة الله كما تعرفون في الليلة التاسعة والعشرين من سنة (١٤٠٩هـ.ق)، مما يعني أن عمره الشريف كان ٨٨ سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام. وإذا ما اعتبرنا أن مرحلة طفولته كانت ثمان سنين، ينبغي القول أن ثمانين سنة من عمره الشريف كانت تتضمن أبعاداً مهمة في شخصيته تحتاج إلى الدراسة والبحث والتحليل.

وحسب ما ذكره الإمام بنفسه، أنّه تعلم القرآن وقواعد اللغة الفارسية في مدينة خمين، وفي التاسعة عشر من عمره ـ أي في سنة (١٣٣٩ هـ.ق) ـ انتقل إلى مدينة أراك لإكمال دراسته الحوزوية في حوزة آية الله الحائري الّتي أسسها في سنة (١٣٣٢ أو ١٣٣٣ هـ.ق). فتعلم في تلك الحوزة قسماً من دروس: اللغة العربية والمعاني والبلاغة، ثُمّ هاجر إلى مدينة قم المقدسة في سنة (١٣٤٠ هـ.ق)، أي بعد أربعة أشهر تقريباً من هجرة آية الله الحائري لها.

وبعد أن انتقل سماحة الإمام قُدِّسَ سِرُّه إلى مدينة قم، اتخذ حجرة في مدرسة دار الشفاء للسكن فيها. وفي أحد الأيام تحدث قائلاً:

كان طلاب وفضلاء الحوزة في تلك الفترة مجدين كثيراً ومهذبين وزاهدين وملتزمين جداً بالأخلاق والفضائل الدينية وإقامة النوافل والمستحبات. ثُمّ نبّه قائلاً:

في تلك السنوات كان أغلب الطلاب يؤدون العمل المعروف بأم داود، فيصومون أيام: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من شهر رجب، لكن أنا وزميلي في السكن لم نوفق لأداء هذا العمل المستحب، ولما كنا مشغولين بشرب الشاي عصراً، أثار اعتراض الطلاب آنذاك.

كما ذكر سماحة الأستاذ دام ظله من ذكرياته: كنا نحضر درس المعالم عند أستاذ مؤدب وخجول جداً، بحيث كان يرتبك ويخجل كثيراً عند حضور أي طالب جديد للدرس، مما كان يؤثر على تدريسه فلا يتمكن من إلقاء الدرس بشكل صحيح، لكن مع ذلك استمر الأستاذ ـ الإمام ـ في حضور درسه حتّى نهايته.

درس سماحة الإمام دام ظله قسماً من كتاب المكاسب عند المرحوم الحاج السيد محمّد تقي الخونساري، لكنه لم يستمر في حضور درسه بسبب المشاكل في بيان الأستاذ. ودرس الكفاية عند المرحوم الحاج مير سيد علي اليثربي، وبعد أن أكمل مرحلة السطوح، حضر بحثه الخارج أيضاً إلى بحث الترتب.

ومن مشايخ الإمام دام ظله في الفلسفة والعرفان نذكر:

١ـ المرحوم الميرزا علي أكبر الحكمي اليزدي المتوفى سنة ١٣٤٤هـ.ق.

٢ـ المرحوم الحاج السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني المتوفى سنة ١٣٩٦هـ.ق.

٣ـ المرحوم آية الله الميرزا محمّد علي الشاه آبادي.

درس الإمام قدس سره قسماً بسيطاً من الأسفار عند المرحوم الحكمي، لكنه لم يستمر في الدرس لاختلافه مع الأستاذ في أسلوب الدرس. ودرس كل المنظومة من أولها إلى آخرها عند المرحوم رفيعي، ثُمّ درس عنده قسماً من الأمور العامة في الأسفار. أما العرفان فدرسه عند المرحوم الشاه آبادي الّذي كان الإمام يجله كثيراً، إذ كان يقول: لم أر إنساناً بلطفه. كما درس عنده شرح الفصوص، وقسماً من مفتاح الغيب، ومنازل السائرين، وبعد وفاة آية الله الحائري، لم يحضر الإمام قدس سره درس أي من الفقهاء الآخرين، وانشغل بالتدريس. ولإكمال مراحل الفقه والأصول، كان الإمام يشارك في بحوث مشتركة مع كبار فضلاء الحوزة آنذاك، فقد حضر لفترة طويلة في بحث مشترك مع آية الله الصدر وآية الله الزنجاني، وكان يقول قدس سره: حدث في تلك المباحثة نوعاً من النقاش الشديد بيني وبين آية الله الزنجاني، ولكبر سنه وجلالة قدره قبلت يده.

وحول تتلمذه لدى المرحوم الشاه آبادي، نقل الإمام لنا قصة فقال: عندما جاء المرحوم الشاه آبادي إلى الحوزة لم نكن بحاجة ماسة لبحث المعقول؛ بل كنا نسعى أكثر للحصول على أستاذ في العرفان، وكان ﵀ أستاذاً بلا منازع في هـذا العلـم، لكننـا كنـا نخشى أن يرفض إذا ما اقترحنا عليه درس العرفان، فعرضنا عليه أوّلاً البدء ببحث الفلسفة، فوافق على ذلك، وأثناء الدرس طلبنـا منه أن يبدل الدرس إلى العرفان، فوافق أيضاً.

ودرس أستاذنا الجليل ـ الإمام الخميني ـ العروض والقوافي عند المرحوم الشيخ محمّـد رضـا المـسجد شـاهي، واستنـسخ رسالته الّتي كتبها في العروض والقوافي، والتي ما زالت موجودة عندي حتّى الآن. كان الإمام يقول أيضاً: كنت إذا بـدأت درسـاً عند أحد الفضلاء أسعى قدر الإمكان لإكماله حتّـى النهايـة، ولا أتركه في الأثناء، وكان المرحوم المسجد شاهي رجلاً فاضلاً، إلاّ أن سرعة بيانه كانت مانعاً لفهـم المطالـب والمواضـيع الدقيقـة. فرغم تقديره واحترامه كثيراً من قبل المرحوم آية الله الحائري، إلاّ أن مشكلة البيان كانت مانعاً من ازدهار درسه. وكنت من تلامذته الملتزمين بدرسه طيلة فترة وجوده في قم.

ودرس الأستاذ ـ الإمام ﵀ ـ علم الهيئة والنجـوم القـديم عند المرحوم الرفيعي، فكل ما تعلمه في شـرح الجغمينـي ومـا يرتبط بعلم الهيئة القديم من بركات درسه. وكـان الإمـام متعلقـاً

جداً بالمرحوم الرفيعي، فلم يتكلم في حضرته أبداً، وفي سنة (١٣٦٦هـ.ق) عندما زار المرحوم الرفيعي مدينة قم، اجتمع عدد من فضلاء الحوزة في غرفة المرحوم صاحب الداري (الغرفة المتصلة بالمكتبة) تقديراً واحتراماً له، ولم يخلُ المجلس من البحث، فكان المرحوم الرفيعي هو الوحيد الّذي كان يجيب على الأسئلة، ولم يكن الأستاذ الإمام يتكلم احتراماً له.

وبعد وفاة آية الله الحائري بدأ بتدريس الأخلاق في المدرسة الفيضية، حيث لاقى استحسان واستقبال الطلاب والفضلاء والشخصيات الحوزوية الواعية.

وإضافة للبعد الأخلاقي والعرفاني للدرس، كان يتضمن بعداً سياسياً أيضاً، مما أدى إلى تعطيل الدرس من قبل الشرطة، لذا سماحة الإمام نقل درسه إلى مدرسة الحاج ملا صادق، وكان من بركات هذا الدرس تأليفه لكتاب الأربعين، الّذي كان يمثل خلاصة لبحوثه الأخلاقية.

وقد سألت الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ آنذاك، ما هي الكتب الّتي يمكن أن نستفيد منها في درس الأخلاق؟

فأجاب: القرآن وكتب الحديث، فذكرت: إحياء العلوم؟ فقال: قرأته في بداية الأمر فلم يعجبني الأسلوب المتبع في بحوثه.

وقد استمرت حياة الإمام قدس سره حتّى سنة (١٣٦٠ هـ.ق)، بين الدرس والتدريس، ففي العشرين سنة الأخيرة اهتم أكثر بالتدريس والتأليف، لكنه في الوقت ذاته لم يكن بعيداً عما يحدث في البلاد. فكان يذهب أحياناً إلى مدينة طهران للمشاركة في مجلس الشورى الوطني، مما جعله يتعرف هناك على المرحوم المدرس وغيره من الشخصيات السياسية.

صفحة جديدة من حياة الإمام:

بعد هجوم الحلفاء على إيران سنة (١٣٦٠هـ.ق)، تغيرت جميع الحسابات والمعادلات السياسية، مما أشاع جوّاً جديداً من الحرية، ودفع أحد عملاء الدول الغازية إلى إيجاد نوع من الاضطراب داخل البلاد، وإضعاف عقائد الناس فألف كتاباً تحت عنوان (أسرار هزار ساله)، تضمن نقداً للإسلام وخاصة المذهب الشيعي، مما أثار حفيظة وغضب المتدينين، فكانوا بانتظار رد الحوزة العلمية في قم على هذا الكتاب.

وقد تم بالفعل نشر كتاب بدون ذكر اسم المؤلف رداً عليه، لكن أسلوبه وبيانه كان أفضل تعريف باسم المؤلف، إذ كان بقلم الأستاذ الإمام حيث تم نشره في سنة (١٣٦٣ هـ.ق)، وقد بيّنت الأبعاد العلمية والفلسفية والحديثية في شخصية الإمام، ومواقفه السياسية في قبال تجاوزات الغرب وعملائهم في البلاد.

الحوزة: الظاهر أن الإمام قدس سره أدى دورا مهما في دعوة آية الله البروجردي إلى حوزة قم العلمية، نرجو أن تبينوا لنا الهدف من تلك الدعوة، وما هو الأثر الذي تركه قدوم آية الله البروجردي على مكانة الحوزة العلمية في قم؟

الأستاذ: ترك المرحوم آية الله السيد البروجردي مدينة بروجرد، وقصد السفر إلى طهران للعلاج، فاستقبله وجهاء طهران وعدد كبير من العلماء وفضلاء الحوزة العلمية، كان في مقدمتهم الإمام ومؤيدوه، حيث سعى إلى دعوته للإقامة في قم (بعد أن حصل على موافقة المسؤولين الثلاثة في الحوزة وهم: المرحوم آية الله حجت والمرحوم آية الله الخوانساري، والمرحوم آية الله الصدر)، حتّى يضفي على زعامة الشيعة في حوزة قم قدراً من المكانة والعظمة، إضافة إلى الاستفادة من معلوماته الفقهية والأصولية والرجالية. والحق أن الحوزة العلمية في قم اكتسبت مكانة علمية وسياسية عظيمة بعد قدوم المرحوم آية الله السيد البروجردي إليها؛ بل يمكن القول أنّه ابتدع منهجاً جديداً في الاجتهاد، حيث كان سماحته يدعو إلى بحث المسائل الفقهية بدقّة، وتحقيق المسائل على ضوء الفقه المقارن، وتوخي الدقّة في إسناد الروايات، وضرورة الوقوف على فتاوى أهل السنة في المسائل المختلفة، مما جعل هذا المنهج ينتشر بسرعة في أوساط الحوزة العلمية في قم، كما دعا إليه المرحوم البروجردي.

الحوزة: نرجو أن تبينوا لنا موقف الإمام قدس سره من النظام الملكي الطاغوتي، أثناء فترة زعامة آية الله السيد البروجردي؟

الأستاذ: اختار الإمام في تلك الفترة السكوت، فكان سكوتاً عظيماً منه، فمنذ اليوم الأول لقدوم آية الله السيد البروجردي حتّى يوم وفاته ـ في شوال ١٣٨٠ هـ‌ق ـ لم يتخذ الإمام أي موقف سياسي تجاه الأوضاع الجارية في البلاد، واكتفى بالتدريس والتأليف والسعي في تهذيب النفوس والتذكير بالمراجع خاصة المرحوم السيد

البروجردي. في حين كان المتوقع أن يستمر صاحب كتاب (كشف الأسرار) في توضيح أفكاره السياسية في ظل ذلك الجو السياسي الحر نوعاً ما؛ لكنه على العكس، اختار السكوت واهتم بالتأليف وتربية الطلاب. فما السبب الّذي دفع الإمام للسكوت بعد قدوم آية الله السيد البروجردي، وعدم الاستمرار في خطبه الصاخبة المؤثرة؟ السبب أنّه كان رجلاً إلهياً، تدور جميع حركاته وسكناته، كلامه وسكوته، حول محور الواجب والتكليف، فبعد الزعامة الواسعة للمرحوم السيد البروجردي، لم تكن وظيفة الإمام سوى (النصيحة لأئمة المسلمين)، فاهتم في تلك الفترة بالبحث العلمي وتربية النفوس. فكان سكوته في وجود المرحوم السيد

البروجردي، كسكوت علي عليه السلام في وجود الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الّذي تكلم أكثر من (١٢٠٠٠) خطبة وحكمة، اختار السكوت في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في فترة خلافته، أطلق العنان للسانه ليصرح بالحكم والكلمات الّتي سخرت القلوب، واهتزت لها العروش، فكان سكوته وكلامه من باب أداء الواجب والتكليف.

وأتذكر في سنة (١٣٣٠ هـ.ش)، عندما ارتفعت وتيرة الانتخابات آنذاك وانقسمت الدوائر الانتخابية بين مؤيدي مصدق والشاه، ولم يحض أي من المرشحين بدعم ورضا الفضلاء، فقام أحد الأصدقاء وهو الحاج الشيخ أسد الله نور اللهي أثناء جلسة الدرس وطلب من الإمام أن يتدخل في مسألة الانتخابات ويعرّف بعض المرشحين المؤمنين، أو على الأقل يختار لمدينة قم نائباً مناسباً. لكن الإمام اعتذر عن ذلك، وقال إن وظيفتي تقتصر الآن على الدرس فقط. فكان الجمع بين هاتين الخصيصتين المتضادتين من خصائص الرجال العظام.

الحوزة: قبل قدوم آية الله السيد البروجردي إلى حوزة قم العلمية، كان الإمام يدرس السطوح العالية، نرجو أن تبينوا لنا متى بدأ الإمام بتدريس البحث الخارج، وما هي مكانة درسه من الناحية العلمية؟

الأستاذ: كان الإمام يدرس السطوح العالية إضافة إلى بعض الكتب الفلسفية حتّى سنة (١٣٦٤ هـ.ق)، كما كان يحضر بحوثاً مشتركةً في بعض المسائل الفقهية والأصولية مع عدد من فضلاء الحوزة المعروفين آنذاك.

وبعد قدوم آية الله السيد البروجردي إلى حوزة قم، بدأ الإمام بتدريس خارج الأصول، اقتصر في البداية على تلامذته المقربين وهم: الشيخ المطهري، والمنتظري، ونور اللهي، وخندق آبادي، وازداد عدد الحاضرين تدريجاً وانضم إليهم المرحوم الدكتور بهشتي. وبعد فترة قصيرة ازداد عدد الطلاب في الدرس، ثُمّ التحقنا أنا والشيخ إبراهيم الأميني، والشيخ الخزعلي والمرحوم السيد سعيدي وغيرهم بهم لنقتطف من ثمار درسه.

كان الدرس ذا طابعٍ خاصٍ حتّى ذلك الوقت، وفي سنة (١٣٧٠ هـ.ق)، شرع الإمام بتدريس مباحث خارج الأصول، فبدأ بالمجلد الأول من الكفاية، فاتخذ الدرس طابعاً عاماً وكان حاصله كتاب تهذيب الأصول الّذي نشر في ثلاث مجلدات. وعلى هذا الأساس أصبح الإمام في مصاف الأساتذة المشهورين في زمن المراجع العظام: المرحوم البروجردي والمرحوم حجت والمرحوم الخونساري، فكان درسه من بين الدروس يضم العدد الكبير من الطلاب، وإلى جانب درسه الأصولي بدأ بتدريس مباحث خارج الفقه، ليحضره أيضاً عددٌ كبيرٌ من فضلاء الحوزة

المعروفين، وخلال فترة تواجده في قم درس الإمام المباحث الفقهية التالية:

١ـ الزكاة

٢ـ الطهارة

٣ـ المكاسب المحرمة

٤ـ قسماً من البيع

وبالطبع يسهل علينا ذكر كتاب الطهارة، الذي استمر بحثه سبع سنوات، حيث كتب سماحة الإمام قسماً من دروسه ونشرها، فتمكن من طبع كتاب الطهارة في سبع مجلدات.

الحوزة: ما هو موقف الإمام الراحل & بعد وفاة المرحوم البروجردي وما هي التحولات التي حدثت في الحوزة العلمية في قم؟

الأستاذ: أدت وفاة المرحوم آية الله العظمى البروجردي إلى فتح صفحة جديدة في حياة الإمام الراحل ﵀ كسر فيها الصمت وعمد إلى مزج الفقه والفقاهة مع الدراية والسياسة الّتي تعتبر جزءً لا ينفك عن الإسلام.

وفي تلك الفترة بدأت معارضته لحكومة الشاه الغير شرعية؛ أي حكومة عَلَم، فكان يمثل في الحقيقة مصداقاً لـ(رهبان بالليل

وأسد بالنهار)، حيث كان قدس سره يقف في منتصف الليل لمناجاة ربه، وينشغل في النهار بتدريس الفضلاء الفقه والأصول، إضافة إلى مراقبته للأحداث الجارية في البلاد والعالم، ليكون مصداقاً للحديث الشريف (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس).

إنّ اعتراض الإمام على إقرار قانون جمعيات الأقاليم والولايات ثُمّ الاعتراض على اللوائح الستة ثُمّ اعتراضه على إقرار القانون السيئ الصيت الخاص بمنح الحصانة القانونية للمستشارين الأمريكان، بمثابة بارود لا يحتاج سوى شرارة بسيطة لإسقاط النظام الطاغوتي؛ ولهذا السبب تم نفيه في عام (١٣٨٣ق) إلى تركية، وبعد سنتين من إقامته فيها انتقل إلى مدينة النجف الأشرف.

وطيلة خمسة عشر سنة من إقامته في النجف الأشرف، أصبحت المقاومة في إيران أكثر قوة وثباتاً في ظل قيادة الإمام قدس سره ورعايته، لتكون إيذاناً بولادة ثورة عظيمة حدثت في ٢٢ بهمن (١٣٥٧هـ.ش).

الحوزة: سماحتكم كنتم من تلامذة الإمام الراحل قدس سره، مما منحكم فرصة الاتصال به والتعرف على صفاته وخصائص شخصيته، لذا نرجو أن تبينوا لنا وللقراء الكرام هذا البعد من حياة الإمام قدس سره.

الأستاذ: إن هذا البعد المهم في حياة الإمام ﷺ، يتصف بصبغة خاصة لا يمكن لأحد الوقوف عليها، إلاّ إذا كان على اتصال مباشر به لفترة طويلة، وهنا سنشير إلى قسم من هذه الأبعاد:

جامع لصفات الأضداد:

الكل يعلم عدم إمكانية الجمع بين الأضداد المنطقية، إذ لا يمكن لشيء واحد أن يكون أبيضاً وأسوداً في الوقت ذاته، بينما التضاد الفلسفي يمثل أساس قيام عالم الوجود، حيث أن الدنيا بكاملها تقوم على أساس هذا التضاد الفلسفي، فلو كان العالم يتضمن عنصراً واحداً فقط لما تشكل عالم الوجود، لكن وجود عناصر عديدة يحمل كلّ واحد منها صفات وآثاراً خاصة، حيث يؤدي الاختلاط بين هذه العناصر إلى تكوين المعادن وإيجاد النبات والحيوان والإنسان في هذا العالم.

وفي حياة الإنسان يحدث أحياناً أن تتغلب العاطفة على العقل، لكن يحدث العكس في أحيان أخرى فيتغلب العقل على العاطفة. أما الإنسان الكامل فيتميز باتصافه بكلا الصفتين العقل والعاطفة، بحيث يستفيد من كلّ صفة في موردها الصحيح وغالباً ما يتصف الأفراد العاطفيون بالضعف وقلة الجرأة والشهامة، في

حين يتصف الأفراد الأشداء والقساة بعدم تأثرهم بالأمور العاطفية، ونادراً ما نجد شخصاً يحمل كلا الصفتين في آن واحد.

أما أمير المؤمنين فكان يقاتل بشدة المئات من الأعداء في ليلة واحدة دون أن يتأثر أو يضعف، لكنه في الوقت ذاته ما أن يرى دموعاً تجري على خد يتيم، حتّى يتأثر وتعلو آهاته.

وأهل العرفان والسلوك عامة ما يهتمون أكثر بأمور ما وراء الطبيعة، لكنهم لا يهتمون بأمر السياسة وإدارة البلاد، في حين نجد السياسيين والمسؤولين يهتمون بأمور السياسة ويهملون أمور وراء الطبيعة، ونادراً ما نجد شخصاً يتصف بالاثنين معاً.

والظاهر أن العرفان والسلوك يتضادان مع التدبير والسياسة، ويندر اجتماعهما في شخص واحد، لكننا نلاحظ وجودهما معاً في شخصية أمير المؤمنين وأولاده المعصومين.

أما الفيلسوف الّذي يقضي معظم عمره في تربية عقله وإدراكه، نجده يبتعد عن الخوض في المسائل العرفية والحياة اليومية للناس، في حين نجد الفقيه يهتم بكلام الرواة وأحاديثهم وبإجابات الإمام (ع) بمقدار فهم الراوي، ونجده يأنس بالخوض في المسائل العرفية والعادية، لكنه لا يعتني بالتدقيق في المعارف الأخرى. ويندر أن تجتمع في الفيلسوف الدقة في التفكير مع الاستنباطات العرفية من الروايات.

كذلك الحال بالنسبة لأهل العلم والفكر الّذين يهتمون بمطالعة الكتب والنظريات العلمية، لكنهم لا يهتمون بالأوضاع السياسية في البلاد والعالم، في حين نلاحظ رجال السياسة يهتمون بمتابعة الأفكار والمواقف السياسية الصادرة من مختلف السياسيين في العالم، لكنهم لا يعتنون بزيادة معلوماتهم العلمية، ورغم ذلك يتفق أحياناً اجتماع هاتين الصفتين في شخص واحد.

وعادة ما نطلق على اجتماع مثل هذه الصفات المتضادة الّتي يندر اجتماعها في شخص واحد، اصطلاح اجتماع الأضداد، وهو بالطبع التضاد الفلسفي وليس المنطقي، ويعتبر أمير المؤمنين مصداقاً جلياً على هذا الاصطلاح، ولهذا يقول الشاعر السيد حيدر الحلي، حول هذا الموضوع:

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزت لك الأنداد

فكان الإمام الخميني ﵀ الابن والخلف الصالح لأمير المؤمنين ﵇ وارثاً لجده في امتلاك مثل هذه الخصيصة من اجتماع الأضداد في شخصيته، فكان مظهراً للعاطفة لكنه في الوقت ذاته كان بطلاً شجاعاً، وكان شديد التأثر بالظروف الإنسانية، ومقاوماً وشديد البأس في مقابل الظلم والطغيان. وكان عارفاً وسالكاً لم يترك صلاة الليل لأكثر من ستين سنة. وكان يدعو ربه ويناجيه بحيث يظهرها ـ مناجاته ـ في قالب من الشعر

العرفاني أحيانا. إنّه كان شديد التفكر والتأمل، وفي نفس الوقت كان سياسياً عادلاً ومدبراً أيضاً، فتمكن بقوته وصلابته من أخذ زمام أمور البلاد وإيصالها إلى الأمان. كان فيلسوفاً دقيقاً أدرك بحق الأمور الإلهية بل وتذوقها، لكنه في الوقت ذاته كان إنساناً عرفياً في مجال الفقه، بحيث كان ينزل أفكاره وآراءه إلى مستوى المسائل الّتي يمكن أن يطرحها الشخص العادي على الإمام.

وطيلة الثمانين سنة من عمره، تعامل الإمام مع مختلف العلوم والفنون حتّى أنّه ترك في كثير منها مؤلفات قيمة، وفي الوقت ذاته، كان مطلعاً على معظم الأحداث السياسية في العالم. والأهم من ذلك، كان يمتلك قلباً يشع بالنور الإلهي بحيث غالباً ما كان قادراً على معرفة ثبات الأفراد بالتدقيق في سيمائهم ولحن كلامهم؛ لذا ينبغي القول، أن الإمام كان بحق إنساناً نادراً اجتمعت في شخصيته الأضداد.

جملة أخرى من صفاته المعنوية:

رغم أن الإمام ﵀ كان يحيي الليل بالعبادة والتهجد، إلاّ أنّه كان يشمئز جداً من التظاهر بالزهد والتقوى أمام الناس، ولم يلاحظ طيلة عمره ماسكاً بالمسبحة ويردد الأذكار، ورغم زهده وتقواه وابتعاده عن ملذات الدنيا وزبرجها، كان يسعى للظهور بمظهر لائق من ناحية اللباس والشكل، واجتناب ارتداء الملابس

القديمة أو الرخيصة؛ لأنه حسب الظاهر كان يعتقد أن هذا السلوك يعد مظهراً من مظاهر الاستعطاء وليس الزهد.

ورغم أن الإمام كان يعتبر مسألة تعدد الزوجات أمراً أساسياً ويدافع عنه باستمرار، لكنه لم يكن يرى ذلك مناسباً لرجل الدين إذا لم تقتضي الضرورة، وكان يقول من باب المزاح: (إن زوجة واحدة زائدة ونصفها قليل)، وكان يذّكر دائماً في هذا الموضوع أن الناس ينظرون بشكل خاص لرجل الدين.

ورغم كونه إنساناً متفكراً وقوراً ذا هيبة خاصة يكثر من السكوت والتأمل، إلاّ أنّه في عين الحال كان يحب مجالس الأنس مع الأصدقاء والمقربين، لأنه كان يعتبر مثل هذه المجالس ضرورية لصفاء الذهن وشحنه، حتى أنّه كان يقول: «في مرحلة الشباب، لم يكن تمضي خميس أو جمعة إلاّ وكنا نقيم مع بعض الأصدقاء مجلساً للأنس والترفيه، ولكثيراً ما كنا نذهب خارج قم خاصة إلى جمكران، وفي فصل الشتاء أثناء هطول الأمطار والثلوج، كنا نجتمع في إحدى الغرف للسمر والترفيه عن أنفسنا، وما أن نسمع صوت المؤذن حتّى ننهض للصلاة».

وكان الإمام ﵀ شديد التعلق بالقرآن وتلاوته والتدبر في معانيه الدقيقة، حتّى أتذكر يوماً أني طلبت منه أن يكتب تفسيراً للقرآن، فرد قائلاً: إن من يكتب التفسير ينبغي أن ينشغل في حياته بهَمٍّ وهدف واحد فقط، وليس ممن هو مثلي لديه الكثير من

الاهتمامات والمشاغل. وكان في الفلسفة كثير الاهتمام بفلسفة (صدر المتألهين) وفي العرفان كان مولعاً بكتب القاضي سعيد القمي.

وكان ملتزماً بقراءة الزيارة الجامعة في جميع مراقد أهل البيت عليهم السلام. كما كان يهتم كثيراً بالبحث والمناقشة في المسائل العلمية، ويرغب بالمناقشة وطرح الإشكالات في الدرس، حتّى أنّه إذا ما خيم السكوت على الدرس، كان يقول: هذا مجلس درس، وليس مجلس وعظ، تكلموا واعترضوا. وأتذكر أني كنت أوجه الأسئلة وأطرح الإشكالات في الدرس أكثر من الآخرين، مما أثار امتعاض بعض الحاضرين، فطلبوا من الإمام أن يذكر الطلاب بالتقليل من الأسئلة والإشكالات، وأن أقلل من الحديث، فرد الإمام عليهم: إني أعتقد أن الإشكالات المطروحة في الدرس أقل من المطلوب، وينبغي أن تكثروا من الإشكالات من باب (إن قلت قلت).

الحوزة: نرجو من سماحتكم أن تتحدثوا لنا عن بعض تلامذة الإمام رحمه الله وعن أهم مؤلفات الإمام.

الأستاذ: لقد تمكن الإمام رحمه الله طيلة عمره الشريف، من تربية العديد من الطلاب والأساتذة الممتازين في مختلف المجالات العلمية، بحيث لا يسع المجال لذكر أسمائهم، لكن من الضروري الإشارة إلى المرحوم الشهيد مطهري لما كان يكن الإمام من

احترام وتقدير أكثر من الآخرين، ولتأثره بأفكار الإمام وكان يشير في مؤلفاته إلى نشر إشكالاته بصورة (إن قلتَ قلتُ).

أما بالنسبة لمؤلفات الإمام: فنذكر هنا قائمة لمؤلفاتـه، الّتـي تعتبر دليلاً واضحاً على بعده العلمي، وتشمل مؤلفاته المطبوعـة والمخطوطة، وهي كالتالي:

١ـ آداب الصلاة

٢ـ الأربعين

٣ـ أسرار الصلاة

٤ـ كتاب البيع (في ٥ مجلدات)

٥ـ تحرير الوسيلة (أضاف على المسائل الموجودة في وسيلة النجاة للسيد الأصفهاني بمقدار الربع أو الثلث، وأطلق عليها اسم تحرير الوسيلة).

٦ـ كشف الأسرار

٧ـ ولاية الفقيه

٨ـ الرسائل (في قاعدة لا ضـرر، والاستـصحاب، والتعـادل والتراجيح، والاجتهاد، والتقليد، والتقية)

٩ـ شرح حديث جنود العقل والجهل

١٠ـ شرح حديث رأس الجالوت

١١ـ شرح دعاء السحر

١٢ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية

١٣ـ المكاسب المحرمة (في مجلدين)

١٤ـ تعليقات على شرح فصوص الحكم

هذه المجموعة تمثل أهم مؤلفات الإمام، ويمكن أن نضيف لها الرسائل العملية وتعليقته على الوسيلة، والعروة الوثقى، وديوان شعر، وغيرها من المؤلفات الّتي لا أتذكرها الآن. وينبغي أن أشير هنا إلى تفسير سورة الحمد الّتي أوجدت جوّاً جديداً في عالم التفسير وعرّفت الشباب المؤمن بعداً آخر من هذا الكتاب السماوي.

كلامنا هذا يمثل خلاصة عن حياة الإمام ﵀، وحقاً يمكن القول أن رحيله يمثل مصداقاً بارزاً لمضمون شعر عطار:

إن رجاحة عقله وحكمته عظيمة إلى درجة أنها تعادل حكمة آلاف الأشخاص[1].

(١) از شمار دو چشم يك تن كم واز شمار خود هزاران بيش

الإمام الخميني ﷺ على لسان الشعراء

يا ساقي العشاق..

للشاعر حبيب علي..

أَدِرْ يا ساقيَ العشاق كأساً وارْوني عشقا
وخلِّي القلب يلقى فيه ما يلقى
وروِّي الروح إنْ ظمأتْ
إلامَ تظل في طغيانه تشقى
أدِرْها علَّني أسْتَنطق الإلهام في شفتيهِ
أو أستلهمُ النطقا
لعلَّ فؤاديَ المكلومَ
يشفى بابتسامتهِ ،
لعل جبينه الوقَّاد يُطفي حرَّ آهتهِ
لعل المدَّ في عيْنيهِ يُنسي جرحيَ الدفقا
أدِرْ كأساً لعلي أبلغ الأسرارْ

لعلي أبتغي سراً به فُتِقتْ هناك النارْ

وما كانت سوى رتقا

أدِرْها علني أستقرأُ المكتوب في كفَّيْهْ

فما سرُّ اللَّهيب على شفا عيْنيهْ

به يصلى حشا عشاقه الحرقا .

وما سرُّ اصطفاف المزن في خديهْ

منها الغيث يستسقى

وماذا كان حجم البوح في شفتيهْ

حتى أخرس الأفلاكَ

حتى أذهل الأملاكَ

حتى أعجز الخلقا

أ إنسٌ كان ؟

كيف اجتاز إنسٌ ذلك السورا ؟

ومِن أيِّ الشموس استلهم النورا ؟

وقبلاً كانت الدنيا بعين الخلق ديجورا

إلى أن أشرقتْ شرقا

أ أعطاه الإله عصى ليُلقيها

كما موسى كليم الله أُعطيها

وقد ألقى

وشقَّ بها جبينَ البحرِ كي يجتازَه شقا

وطاف بها اضطراب الموجِ

ساعٍ ينقذ الغرقى

وهل أعطاه عيسى سرَّهُ حتى

غدتْ يمناه تحيي العظم والعِرقا ؟

إذا ما لوَّحت غرباً

إذا ما لوحت شرقا

وسبحته ترى من أين جاء بها فأبداها

ومن ذاك الذي أعطاه إيَّاها

أكانتْ سبحة الزهراء أم كانت لَدى طه ؟

فقد صعقتْ عروش الأدعيا صعقا

وقد دقَّتْ جبين الظلمِ في صخر الإبا دقَّا

تموجُ قوافل العشَّاق في تسبيحها موجاً

لتستوحي الإبا عزماً

وتستسقي الفدا عشقاً

وتسترجي الردى شوْقا

تُرى مِن أين هذا الفيض جاء به ؟

يُحيلُ المستحيل بطرْفه صدقا

ولو شاءت لحاظ العين

لأمسى كل ما في الكون بين يديهِ

حتى الغول والعنقا !.

غريب أمر هذا الطاعن التسعينْ

غريب أمر روح الله

غريب أمره حقا . . .

١٤١٩هـ

الفهرس

إلى المستضعفين والمسلمين في أنحاء العالم.....٥

مقدمة ـ نحن والإمام ٩

جولة في موسوعة الإمام الخميني قدس سره من خلال وثائق السافاك ١٥

عوامل ساعدت في تكوين شخصية الإمام قدس سره ٦٥

حوار حول الحكومة الإسلامية والإمام قدس سره ١٢١

آية الله صدوقي ورسالة الشاه إلى الإمام الخميني قدس سره.....١٦٣

حوار مع سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني ١٦٩

الإمام الخميني رحمه الله على لسان الشعراء ١٩١